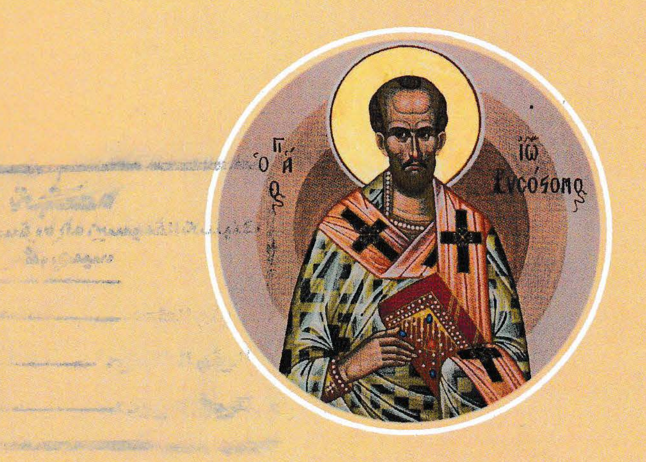
للقديس يوحنا ذهبي الفم





عظات على سفر أعمال الرسل

ترجمة

دكتور جورج عوض إبراهيم

عظات

على سفر أعمال الرسل

للقديس

يوحنا ذهبي الفم

ترجمة

دكتور جورج عوض إبراهيم

اسم الكتاب : عظات على سفر أعمال الرسل

اسم المؤلف : القديس يوحنا ذهبي الفم

ترجمة : د. جورج عوض إبراهيم

اسم الناشر : د. جورج عوض إبراهيم

georgeibrahim2257@yahoo.com

رقم الإيداع : ١٩٠٩ /٢٠١٧



قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



المحتويات

مُقَدِّمَة

تشكل هذه العظات الأربعة وحدة واحدة تتمحور بصفة أساسية حول سفر ''أعمال الرسل''. وقد ألقاها القديس يوحنا ذهبي الفم حوالي سنة ٣٨١م. وبالتالي فهذه العظات لا علاقة لها بتلك العظات التي ألقاها ذهبي الفم عن سفر ''أعمال الرسل'' حوالي سنة ٤٠٠م في القسطنطينية.

العظة الأولى: ''إلى أولئك الذين يهجرون اجتماع الكنيسة''، وهي تنقسم إلى خمسة أجزاء. يبدي القديس يوحنا ذهبي الفم في الجزئين الأولين فرحه من أجل الحاضرين، ويبث ألمه من أجل الغائبين من أجل أنهم فقدوا الكثير بعدم الحضور. كما يشدد ذهبي الفم على أن الغنى ليس شراً، بل الشرُ في الاستخدام السيء له. ويدعو الحاضرين أن يتشاركون الأقوال الإلهية مع الغائبين. وفي بقية أجزاء العظة يعرض بعض الأمور المتعلقة بسفر ''أعمال الرسل''، وهي تلك التي سوف ينشغل بها ذاكراً المستنيرين الجُدد، منهياً حديثه في الجزء الأخير بنصائح وإرشادات تتعلق بالحياة والسلوك الحسن.

العظة الثانية: ''أثناء الاجتماع في الكنيسة القديمة بعد زمن كبير''، وهي تنقسم إلى ستة أجزاء. يشدد القديس يوحنا ذهبي الفم في الجزء الأول والثاني على ثبات وحصانة الكنيسة حيث يقول إن الرُسل بنوا البناء فوق أساس الأنبياء مشيراً إلى عنوان سفر ''أعمال الرسل''، ليُظهر الأعمال والمعجزات المتنوعة. وهو يقصد بالأعمال الإنجازات والمحاولات الفردية، بينما يقصد بالمعجزات موهبة العطية الإلهية، وإظهار السخاء الإلهي. ويشدد في الجزء الثالث والرابع على أن العمل له قيمة أعظم من المعجزة، وأنه يقود إلى الفردوس. وذكر كيف أن المحبة هي خاصية الرُسل وتلاميذ مسيح، وبرهان السلوك الحسن والحياة الفاضلة. كذلك أكَّد على أن الصلاة هي

سلاحٌ عظيم. أما في الجزء الخامس، فيدعو المؤمنين للسلوك الحسن الذي يُمدَح أكثر من المعجزات، بينما في الجزء السادس يذكر صفات السلوك الحسن، وينتهي بالحديث عن كنيسة أنطاكية، وأسقف المدينة.

أما العظة الثالثة عن: «فائدة قراءة الكتب المقدسة»، فهي تنقسم إلى ستة أجزاء. يشدد القديس يوحنا ذهبي الفم في الجزئين الأولين على الفائدة العظيمة من قراءة الكتب المقدسة. فقراءة الكتب المقدسة بالنسبة له مرجٌ روحيٌّ، وفردوسٌ من المُتع واللذات. فالنفس –بالقراءة المستمرة– تصير محصنةً ولا تُهزم في أية حال. أما في الجزء الثالث، فيقود المستمعين إلى الخضوع من السُلطات الدنيوية إلى السُلطات الروحية. لأن السُلطان الرسولي هو الأعظم، من حيث أنه قمة السُلطات الروحية الأخرى، وهو أيضاً جذر هذه السُلطات، لأن الرسول يُجمع في ذاته كل المواهب الأخرى. أما في الجزء الرابع والخامس، فيذكر باختصار موهبة التكلم بألسنة مختلفة. ويستدعي بولس لكي يؤكد على قيمة الرُسل، والأدلة على ما لهم من سُلطات روحية قياساً على ما للرؤساء من سلطات دنيوية. أما في الجزء السادس، فيوجه القديس يوحنا ذهبي الفم نصائح إلى المستنيرين الجُدد مشيرا إلى الولادة الطبيعية والروحية ومحرضاً على التصالح والسلام والمحبة مع الله.

العظة الرابعة: "خطورة أن يصمت المستمعون عن التحدث بما سمعوا في الكنيسة. وما هو سبب قراءة سفر أعمال الرسل في فترة الخمسين. ولماذا لم يظهر المسيح للجميع حين قام؟ وكيف صارت معجزات الرسل برهاناً أكثر وضوحاً على القيامة أكثر من ظهوره هو بنفسه».

تتكون هذه العظة من تسعة أجزاء. يتحدث القديس يوحنا ذهبي الفم في الجزء الأول عن الغنى والفقر، والشر الذي يأتيه من يُقرِض بفوائد. بينما في الجزء الثاني ينقل الحديث إلى الأمور الروحية حيث يُشبِّه الكلام الإلهي بالأموال، ثم يدعو المستمعين إلى أن ينقلوا كلمة التعليم إلى بيوتهم. أما في الجزئين الثالث والرابع، فينصح بأن نهتم بما يخصنا، ويشرح لماذا كان بولس –وبعض الرُسُل الآخرين– يميزون الأوقات والأماكن، أي توقيتات الأعياد اليهودية، والأماكن المقدسة، ويحفظون

إعلانات أخرى للناموس مثل شريعة النذير في قص شعره. وفي الجزء الخامس يذكر أن المسيح أقام مع تلاميذه بعد قيامته لمدة أربعين يوماً، وأن الروح القدس أتى يوم الخمسين. أما في الجزء السادس، فيشرح لماذا يُقرأ سفر "أعمال الرسُل" في فترة الخمسين مسجّلاً كيف أن معجزات الرُسُل هي بُرهانٌ واضحٌ وغير قابل للشك على قيامة المسيح. بينما في الجزء السابع يقول إن المعجزات بعد القيامة -كما يظهر من الكتاب المقدس- هي الأعظم والأسمى من جهة طبيعتها وطريقة إتمامها. كذلك في الجزء الثامن يشدد على أن قيامة المسيح أحدثت تغييراً في سلوك الرُسُل، وسببت خوفاً ورُعباً لأعدائه. وفي النهاية، في الجزء التاسع، يتحدث القديس يوحنا ذهبي الفم عن محبة الله للبشر.

تمت ترجمة هذه العظات الأربعة من المجموعة الآبائية اليونانية ATE : AΠANTA TA EPΓA المجلد رقم ٢٦ في أعمال القديس يوحنا ذهبي الفم PP.199-363، كما أن هذه العظات موجودة أيضاً في باترولوجيا جريجا PG 51, 65-112

مقدمة عن:

القديس يوحنا ذهبي الفم

نشأته وسيرة حياته[١]

وُلد القديس يوحنا حوالى سنة ٣٤٣م لأسرة من الأُسر الغنية في مدينة أنطاكية بسوريا. وكان أبوه سيكوندوس أحد قادة الجيش الرومانى وأمه تدعى أنثوسا. توفى والده وهو رضيع، فكرّست أمه حياتها لتربيته رافضة كل العروض التي عُرضت عليها للزواج بعد ترملها. ومنذ طفولته بدأت والدته تغرس فيه محبة الله وتغذيه بمعرفة الكتب المقدسة وتعاليم الإيمان الصحيح. وأرسلته ليتتلمذ على الخطيب الشهير "ليبانيوس" في الخطابة وعلى الفيلسوف " أندراجاسيوس" في الفلسفة. وكان أستاذه " ليبانيوس" يتمنى أن يكون يوحنا هو خليفته في مدرسة الخطابة، ولكن كما قال ليبانيوس وهو يحتضر يوحنا هو الأجدر بأن يخلفني لو لم يخطفه منا

١- بتصرف عن مذكرة للدكتور نصحي عبد الشهيد خاصة بالكورسات الآبائية في المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة

المسيحيون[٢]. وكما يذكر عنه الأسقف بلاديوس تلميذه، إنه في سن ١٨ سنة وهو حديث السن ولكن له عقل رجل ناضج تمرد على أساتذته الوثنيين. وتحول بحماس شديد إلى الفلسفة الإلهية، أي المسيحية.

عمل يوحنا مدة سنتين محاميًا للدفاع عن المظلومين والفقراء وخدمهم بفصاحته في الخطابة وصارت له شهرة كبيرة بين الشباب. وغالبًا يشير يوحنا في كتابه عن الكهنوت إلى هذه الفترة من شبابه عندما يقول إن "كَفَتهُ قد هبطت تحت ثقل شهوات هذا العالم والأهواء التي ينغمس فيها الشباب" (الكهنوت ١:٣).

ثم تأثر يوحنا برفيق صباه باسيليوس (غير القديس باسيليوس الكبادوكي الشهير)، الذي كان يعيش حياة تقوية إنجيلية، فانجذب إلى حب الله وبدأ يكرس حياته لدراسة الكتاب المقدس والصلاة في منزله. في هذه الفترة لفت يوحنا انتباه القديس ميليتوس أسقف أنطاكية وأعجب بذكائه وغيرته فقربه إليه وجعله ملازمًا له، ثم أعطاه سر المعمودية وبعد ٣ سنوات من ملازمته للأسقف رسمه قارئًا (أناغنسطس) حوالى سنة ٣٧٠م وله من العمر حوالى ٢٣ سنة.

كان يوحنا يشتاق أن يحيا الحياة الرهبانية مع صديقه باسيليوس ويترك البيت لهذا الغرض ولكن دموع أمه التي بذلت كل حياها لأجله متوسلة إليه ألا يجعلها تترمل مرة ثانية، لهذا استمر يمارس حياة النسك متفرغًا للصلاة وقراءة الكتب المقدسة في بيت والدته إلى أن انتقلت إلى السماء. وفي هذه الفترة تتلمذ على ديودور الطرسوسى.

ب . هروبه من الأسقفية

شاع خبر قداسة الشاب يوحنا هو وصديقه باسيليوس، فلما خلت ابرشيتان في سوريا فكر المؤمنون هناك في اختيار هذين الناسكين ليملأ هذا الفراغ، فلما سمع يوحنا هذه الأخبار هرب في الجبال دون أن يخبر صديقه باسيليوس مما أحزن صديقه الذي كان قد رضخ لطلب السيامة الأسقفية، وكتب إلى يوحنا يعاقبه على إخفاء أمر هروبه عنه. وهذا دعا يوحنا يكتب رسالة "عن الكهنوت" أرسلها إلى صديقه

٢ أنظر: سوزومينوس، تاريخ الكنيسة ٨:٢

باسيليوس يبيّن فيها سوء الخدمة الكهنوتية، وأنه هرب لأنه شعر أنه أضعف من أن يقوم بأعباء مسئولية الأسقفية (وهو كتاب الكهنوت الشهير الذي ترجم إلى جميع اللغات بما فيها العربية منذ أكثر من ٢٠ سنة في مصر وفي لبنان).

ج رهبانيته

بعد أن تنيحت والدته انطلق إلى الجبال المجاورة لأنطاكية. وقضى هناك أربع سنوات يعيش مع شيخ ناسك. وكان يشعر كأنه في السماء وهو يعبد في البرية كما يقول في احدى عظاته " اللجوء إلى البرية هو وجود في السماء، في عالم آخر، في السماء عينها".

د . توّحده

بعد ذلك اعتزل في مغارة على انفراد، كما يقول بلاديوس [بسبب شوقه أن يخفى نفسه عن العالم، وقضى في المغارة ٢٤ شهرًا، وحرم نفسه من النوم معظم هذه المدة، وكان يدرس خلالها الكتب المقدسة وهى أفضل وسيلة لنوال الحكمة وطرد الجهالة طوال سنتين دون أن يستلقى ليلاً ونهارًا مما أثر على صحته وأُيب بمتاعب في معدته وأمعائه وبمرض في الكليتين نتيجة البرد الشديد. ولأنه لم يستطيع أن يداوى نفسه، لذلك رجع إلى أنطاكية] (Palladuis 5).

هـ. رسامته شماسًا (دياكون)

بعد عودته من البرية قام الأسقف ملاتيوس برسامته دياكون سنة ٣٨١م فقام بواجباته في خدمة المرضى والأرامل والأيتام والحزانى، ومساعدة الأسقف في خدمة الأسرار المقدسة وحمل الأسرار إلى المرضى.

و . رسامته كاهنًا

بعد أن تنيح الأسقف ميليتيوس خلفه فلافيانوس أسقفًا لأنطاكية. وفي سنة ٣٨٦ رسم فلافيانوس الشماس يوحنا كاهنًا لأنطاكية وكلفه بخدمة الوعظ في الكنيسة الرئيسية بالمدينة. وطوال ١٢ سنة من ٣٨٦ إلى ٣٩٧، كان يوحنا يعظ

بكل غيرة وحرارة وبلا توقف وكان يتمتع بموهبة نادرة في الخطابة والوعظ والتأثير في مشاعر وعقول السامعين، واجتذب إلى الإيمان بعض الوثنيين والهراطقة بتأثيره، كما حوّل حياة المسيحيين إلى المسيحية الحقيقية.

وبسبب قوة وعظه وتأثيره لُقِّب بهذا اللقب "ذهبي الفم" الذي يشير إلى أنه أعظم الوعاظ في التاريخ المسيحي كله. وخلال خدمته هذه الـ ١٢ سنة في أنطاكية ألقى القديس يوحنا أشهر وأعظم عظاته على الإطلاق.

ى . يوحنا أسقفًا للقسطنطينية: (٣٩٨ . ٤٠٤م)

بعد وفاة نكتاريوس بطريرك القسطنطينية في ٢٣ سبتمبر سنة ٣٩٧ وقع اختيار شعب القسطنطينية وكهنتها والإمبراطور الشاب أركاديوس على القس يوحنا واعظ أنطاكية الشهير ليكون بطريركًا للقسطنطينية، ولأن يوحنا لم يبدي أي استعداد لقبول هذه الفكرة، وكذلك لعلم الإمبراطور بشدة تمسك شعب أنطاكية بواعظهم القدير، لذلك أحضر يوحنا إلى القسطنطينية باستعمال القوة وبالخداع. فكما يذكر سوزومينوس المؤرخ وكذلك بلاديوس أرسلوا إليه قائد جيش الشرق الذي استدعاه لكى يرافقه في زيارة مقابر الشهداء خارج مدينة أنطاكية، وما أن عبر خارج أسوار المدينة حتى حُمل إلى القسطنطينية (انظر Soz. 13:2, Pallad 5:19).

وفي يوم ٢٦ فبراير سنة ٣٩٨ تمت سيامة الأب يوحنا أسقفًا وبطريركًا للقسطنطينية واشترك الأنبا ثاوفيلوس بطريرك الأسكندرية الـ ٢٣ في وضع اليد عليه للسيامة.

خدمته في العاصمة

بدأ القديس يوحنا عمله الرعوى والإصلاحي بمجرد تسلّمه مسئولية كنيسة العاصمة محاولاً إصلاح المدينة والاكليروس روحيًا وأخلاقيًا، اللذين كانا قد فسدا في عصر سابقه نكتاريوس.

يقول عنه سوزمينوس المؤرخ أنه خدم بالقسطنطينية خدمة عظيمة مثالية وجذب كثيرين من الوثنيين والهراطقة إلى الإيمان، وكانت جماهير الشعب تلجأ إليه كل يوم يتزاحمون لسماع عظاته وكانوا يحبونه جدًا (انظر soz.8:5). واهتم البطريرك يوحنا

بالفقراء اهتمامًا شديدًا، فكان ينفق كل ما يتوفر لديه من أموال على الفقراء أو على المستشفيات للمرضى الفقراء. وكان يرى مذبح الله في الفقراء بل يرى فيهم المسيح نفسه [المذبح هو النفوس المحتاجة أعضاء المسيح نفسه تكون مذبحًا لك] (انظر NPN.F Vol Hom 20 in 2co). ويبدو أن خطته لإصلاح الإكليروس لم تنجح في اجتذابهم معه في طريق الإنجيل العملي بل على العكس حوّلت كثيرين منهم إلى أعداء له. وتمسكه بالسلوك المستقيم والزهد حسب الإنجيل بدون أي مساومة معه. ساهم في توحيد كل القوى المعادية وتكتلها ضده. ولنقاوة قلبه لم يكن يجيد طريقة الحيل والمكائد التي تجعل كل عدو له يصطدم بعدو آخر.

ومما زاد عن معاداة الإكليروس له أنه في محاولته إصلاح الوضع حسب منهج الإنجيل وتعليم المسيح النقي اضطر في سنة ٤٠١م في مجمع عُقد بأفسس أن يقطع ستة أساقفة بسبب ممارستهم السيمونية.

وهكذا تحالف مقاوموه في الداخل وفي الخارج ضده وبدأوا يخططون لتحطيمه ورغم أن علاقته بالبلاط الإمبراطوري كانت ودية في بداية عهده، إلاّ أن الوضع تغير بسرعة بعد سقوط ''أوتربيوس'' الرجل القوى مستشار الإمبراطور أركاديوس الضعيف الشخصية وسكرتيره سنة ٣٩٩م. وتحول مركز القوة في البلاط إلى الإمبراطورة أفدوكسيا. وكانت أفدوكسيا قد تسمم ذهنها ضد البطريرك يوحنا بأن صُور لها بأن مهاجمته للترف وللفساد إنما هي موجهة إليها هي وإلى بلاطها. كما أن الأساقفة زملاءه سويروس الجابالى، وأكاليوس أسقف بيرويه وأنطيوخوس أسقف بتولمايس كانوا يشجعونها على مقاومة يوحنا.

وقد وصلت مكيدتهم إلى نجاح كبير، خاصةً بعد توبيخ البطريرك يوحنا للإمبراطورة لإستيلائها على حقل إمرأة ظلمًا ومنعها من دخول الكنيسة بعد رفضها كل محاولاته معها بالهدوء قبل حدوث هذه المواجهة.

ز . تأزم العلاقة بين يوحنا وثاؤفيلس ومجمع السنديانة

كانت العلاقة بين البطريرك يوحنا والبطريرك ثاؤفيلس الإسكندري ودية وعادية منذ اشتراكه في رسامة يوحنا بطريركًا سنة ٣٩٨، ولكن حدث أن لجأ ٤ رهبان من

منطقة نتريا بمصر اشتهروا باسم "الاخوة الطوال القامة" إلى القسطنطينية ليشتكوا بطريركهم ثاؤفيلس. وقدموا شكواهم للبلاط، فاستدعى البطريرك ثاؤفيلس ليُحاكم بالقسطنطينية عن اتهامات هؤلاء الرهبان الأربعة في مجمع يرأسه القديس يوحنا. وهذا الاستدعاء جعل ثاؤفيلس يعتبر أن يوحنا هو الذي حرضهم ليشتكوه إلى الإمبراطورة. ولذلك قَلَبَ ثاؤفيلس المائدة ضد القديس يوحنا بمساندة الإمبراطورة. فدعا ثاؤفيلس لعقد مجمع من ٣٦ أسقفًا جميهم أعداء لذهبي الفم و٧ من بينهم من مصر. وهذا المجمع الذي عرف باسم "مجمع السنديانة" وهى ضاحية لمدينة خلقيدونية، حكم على البطريرك يوحنا بـ ٢٩ تهمة. وذلك بعد أن استدعى يوحنا ٣ مرات للحضور ورفض، فأعلن المجمع عزله في أغسطس ٤٠٣م. وصدق الإمبراطور أركاديوس على الحكم ونفاه إلى بيثينيه. ولكن هذا العزل الأول لم يستمر طويلاً. فقد أُعيد في اليوم التالي. فقد حدثت ثورة شعبية في القسطنطينية احتجاجًا على عزل القديس يوحنا. كما حدث زلزال في المدينة في تلك الليلة مما أرعب الإمبراطورة وجعلها تطلب سرعة رجوع ذهبي الفم إذ اعتبرت هذا علامة غضب من الله بسبب ظلمها للراعي الأمين، كما يقول بلاديوس (Soz. 8:18, Pallad. 30). فرجع البطريرك يوحنا ودخل العاصمة في موكب انتصار حافل وسط تهليل وتسبيح المؤمنين. ودخل كنيسة الرسل وألقى خطابًا يسوده التهليل والتمجيد لله لا يزال محفوظًا (خطاب ١ بعد العودة). (Soz. 8:18). وفي العظة التالية ربما في الغد تحدث عن الإمبراطورة بكلمات مديح (Soz. 8:18,8) فهدأت الأحوال في المدينة والبلاط.

ح . نفى القديس يوحنا ونياحته

بعد شهرين من عودة يوحنا إلى المدينة احتشدت الجماهير في احتفالات صاخبة راقصة ماجنة بمناسبة تنصيب تمثال فضة للإمبراطورة أُقيم بالقرب من الكاتدرائية مما أزعج البطريرك فانتقد هذه الاحتفالات. فاعتبرت الإمبراطورة ما حدث منه إهانة لها، وبدأت تظهر علامات العداء له من جديد فلم يبال يوحنا بغضبها، لما كان يوم عيد يوحنا المعمدان بدأ عظة بقوله: [هوذا هيروديا تثور مرة أخرى، ها هي تغضب إنها تعود فترقص، وهى أيضًا تطلب رأس يوحنا على طبقٍ (Soz. 6:18, Soz. 8:20). إعتبر أعداءه هذه المقدمة موجهة إلى أفدوكسيا وقرروا أن يتمموا

عزله بإدعاء أنه عُزل بمجمع قانوني وأنه رجع إلى كرسيه بطريقة غير شرعية. ولكن يوحنا رفض أن يمتنع عن الخدمة بإرادته. لذلك منعه الإمبراطور بالقوة من استعمال أي كنيسة. وحيما جاء عيد الفصح لسنة ٤٠٤م وحضور الموعوظين لعمادهم ليلة القيامة فإنه هو وكهنته المخلصين له جمعوا الموعوظين لتعميدهم، فهجم عليهم الجنود المسلحون أثناء التعميد وطردوهم من المكان واختلطت الدماء بمياه المعمودية (Pallad 33:34, Soz 6:18,14). وبعد عيد الخمسين بخمسة أيام في ٩ يونيو سنة ٤٠٤م أخطر القديس يوحنا بمندوب من الإمبراطور بضرورة مغادرته في الحال. وفعلاً خرج بعد أن ودع الإكليروس المحبين له والشماسات وأوصاهن بالخضوع للأسقف الذي يأتي بعده متى جاء بطريقة شرعية كما كن يخضعن له هو تمامًا. (Pallad.10). وخرج من المعمودية دون أن يراه الشعب من أجل السلام العام.

نُفي القديس يوحنا إلى كوكوزوس Cucusus في أرمينيا الصغير (على حدود أسيا الصغرى) حيث بقى هناك ٣ سنوات. ولما عرف شعبه في أنطاكية بوجوده هناك بدأوا يحجون إلى كوكوزوس ليروا واعظهم المحبوب. ويقول بالاديوس "وهكذا حينما رأى أعداؤه أن كنيسة أنطاكية تنتقل إلى كنيسة أرمينيا وأن حِكمة يوحنا يترنمون بها مرة أخرى في كنيسة أنطاكية، فإنهم تمنوا لو أنهم أنهوا حياته" (Pallad.38). وطلب أعداؤه إلى أركاديوس فأمر بإبعاده إلى بتيوس Pityus وهي مكان موحش على الطرف الشرقي للبحر الأسود وإذ انهارت صحة القديس يوحنا تحت ثقل معاناة السفر على الطريق وبالإجبار على السفر مشيًا على الأقدام في طقس شديد القسوة، فاضت روحه في ١٤ سبتمبر سنة ٤٠٧م في بلدة "كومانا Comana" بإقليم بنطس قبل أن يصل إلى "بتيوس" حيث دفن هناك في كنيسة صغيرة للأسقف باسيليوس الشهيد الذي ظهر له في الليلة السابقة لانتقاله يشجعه ويعلّمه أنه سيكوننا معًا في اليوم التالي، وعند انتقاله نطق بتمجيده المفضل دائمًا: [المجد لله في كل شيء. آمين].

عودة رفقاته إلى القسطنطينية

أمر الإمبراطور ثاؤدوسيوس الصغير ابن أركاديوس وأفدوكسيا بإعادة جسد القديس يوحنا ذهبي الفم إلى القسطنطينية فأعيد إلى المدينة في احتفال كبير في ٢٧ يناير سنة ٤٣٨م.

العظة الأولى

إلى أولئك الذين يهجرون اجتماع الكنيسة، وعن الذين يفحصون بلا مبالاة أقوال الكتب المقدسة، وعن المنقوش على مذبح أهل أثينا في أريوس باغوس، وعن المعمَّدين أو المستنيرين الجُدد

فرح من أجل الحاضرين وحزن على الغائبين

١– ما هذا الذي يحدث؟ حين تنقضي أعيادنا نجد أن اجتماعاتنا يرتادها أعدادٌ قليلةٌ جدًا. لكن ليت هذا الأمر لا يزعجنا نحن الحاضرين ولا يؤثر علينا. لقد صار حشدنا صغيراً بالفعل، ولكننا لم نصِر أبداً أدنى من حيث استعدادنا ورغبتنا في التعلم. لقد صِرنا أصغر من حيث العدد، لكننا لم نصِر أقل شوقاً وحنيناً للتعلم. لقد صِرنا أقل عدداً لكي يظهر بوضوح فيما بيننا، الناضجون، ونعلم مَنْ هم الذين يأتون كما لقومٍ عادة أثناء العيد السنوي، مَنْ هم الذين عن رغبةٍ في الأقوال الإلهية، ومَنْ هم الذين عن رغبةٍ في السماع الروحي. لقد كانت كل المدينة هنا الأحد الماضي، كانت الساحات مملوءةً والجمعُ كان أشبه بموجاتٍ تهدر ذهابًا وإيابًا، لكن سكينتكم هي الأمر المرغوب فيه جدًا أكثر من تلك الأمواج، هدوئكم هو أثمن من الضوضاء والاضطراب. وقتذاك كان يصعب على المرء أن يعد (يحسب) الحاضرين، أما الآن، فالكل يتسم بالتصرفات المفعمة بالتقوى. إذا أراد أحدٌ أن يقارن بين الاجتماعين، أي الاجتماع القليل العدد، والذي يشكِّل الفقراء أغلبه، وذلك الاجتماع الكثير العدد والذي يشكِّل الأغنياء أغلبيته، فسيجد أن هذا الاجتماع هو الأثقل. لأنه، بالرغم من أنكم أقل من ناحية العدد، إلا أنكم أثمن من جهة الرغبة في الحضور.

فإذا وضع أحدٌ عشرةَ دنانير ذهبٍ على كفةِ ميزانٍ، ووضع في الكفة المقابلة

مائة دينار من النحاس، فلا شك أن الكفة الراجحة ستكون هي الكفة التي تحمل النحاس، لكن العشرة دنانير ذهب سيتفوقون بما لهم من طبيعة ذهبية، لأنهم من حيث الجوهر، هم أثقل وأثمن. على هذا القياس، مَن يريد أن يجري مقارنةً بين الاجتماعين. وعلى ذلك يمكن للأقل عدداً أن يكونوا أثمن وأهم من كثيري العدد.

لكن، لماذا أقدم لكم أمثلةً من الأمور المعتادة، في الوقت الذي يجب فيه أن أقدم لكم حكم الله الذي يوضح هذا الأمر؟ إذن، ماذا يقول هذا الحكم: ''وَلَدٌ وَاحِدٌ يَتَّقِي الرَّبَّ، خَيْرٌ مِنَ أَلْفٍ مُنَافِقِينَ'' (حكمة سيراخ ١٦:٣). لأنه، من الناحية العملية، يمكن لإنسان واحد -في مراتٍ كثيرةٍ- من حيث قيمته، أن يعادل آلافاً من البشر. بل يمكن أيضاً أن يكون هو الأكثر أهمية واحتياجًا والأثمن من كل المسكونة. وللتأكيد على هذا الأمر، سوف أخذ من كلام بولس؛ لأنه، عندما تذكَّر أناساً فقراء ومضطهدين وجوعى ومعذبين، قال الآتي: ''رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، مَاتُوا قَتْلاً بِالسَّيْفِ، طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ، وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقًّا لَهُمْ. تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَال وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ'' (عب ١١:٣٧ - ٣٨).

ماذا تقول؟ العالم لم يكن مستحقاً لأولئك الذين عاشوا في حرمان وضيق ولم يكن لهم وطن؟ ألا ترى أنك تتناقض في أقوالك؟ بالطبع أرى ما تقولون عنه تناقضاً، فلأني أعرف جيدًا طبيعة العُملات، قلتُ إن العالم لم يكن مستحقاً لهؤلاء. وإذا أخذت الأرض والبحر والممالك والأقاليم وبشكل عام كل الجنس البشري، وقارنتهم بأثنين أو ثلاثة فقراء، يمكنني عن قناعة، أن أقول إن هؤلاء الفقراء هم أكثر وزنًا. لأن أولئك، بالرغم من أنهم طُردوا من وطنهم، كان وطنهم هو أورشليم العُليا. لقد عاشوا في فقرٍ، إلا أنهم اغتنوا من جهة التقوى. كانوا أعداء بالنسبة للناس، إلا أنهم كانوا أحباب الله. ومَنْ كانوا هؤلاء؟ إيليا، إليشع وكل أولئك الذين تشبَّهوا بهم. فبالرغم من أنهم وقتذاك، لم يكن لهما حتى الطعام الكافي، إلا أن فم إيليا أَغَلَقَ وفتَحَ السماء، ورداءه أرجع مياه الأردن إلى الخلف (أنظر ١ ملوك ١٧:١ - ١٨، ٤٦، و ٢ ملوك ٢:٨).

حين أتأمل هذه الأمور أشعر بالفرح والألم، الفرح لأجلكم أنتم الحاضرين، أما الألم فلأجل أولئك الغائبين، أتألم كثيرًا جدًا وأشعر بالضيق والحزن والانسحاق في قلبي. لأنه مَنْ ذا الذي لا يتألم إذا رأى أمور الشيطان تكسب اهتماماً أكثر، حتى ولو كان عديم الإحساس تماماً؟ لأنه أيُّ مبررٍ إذا كانت أمور الشيطان ما تزال تحظى بذات الاهتمام، وأيُّ مغفرةٍ إذا كانت تلك الأمور تحتل مكانةً مميزةً؟ المسارح تدعو كل يوم، والكل يترددون عليها، لا أحد يرفض، لا أحد يُبدِ اعتراضاً، بل وكأنهم مربوطون في مسيرة إجبارية ومتحررين من أي انشغال آخر، يسرع الجميع إلى هذه المسارح. الشيخُ لا يحترم شيبته، والشاب لا يحافظ على شعلة طبيعته وشهوته، والغني لا يفكر في العار الذي يلحق بمكانته. لكن، حينما يجب عليه أن يأتي إلى الكنيسة، يبدو وكأنه ينزل من مكانة سامية ومرتبة عالية، هكذا تجده خاملاً متردداً، وفي مرحلةٍ تالية تجده متغطرساً، يحتال كما لو أنه يمنح شيئًا لله. لكن عندما يُسرع إلى المسرح، حيث المشاهد الوقحة والمسامع البذيئة، لا يظن أنه يُلحِق العار بذاته، ولا بالغنى ولا بأصله الشريف.

أود أن أعرف أين هم الآن الذين قد أزعجونا ذلك اليوم؟ أود أن أعرف ماذا يعملون؟ ما الذي يشغلهم عما نحن فيه الآن؟ ليس هناك من اعتراض، بل فقط غطرسة. ماذا يمكن أن يكونوا عليه أكثر من هذه الحماقة والغباء؟ لأنه ما السبب الذي يجعلك أيها الإنسان تتكبر وتعتقد بأنك تفعل لنا خيرًا إذا أتيت هنا لكي تنتبه وتسمع الأمور الهامة لأجل خلاص نفسك؟ اخبرني، ما الذي يجعلك تتغطرس؟ أمِن أجل الغنى؟ أمِن أجل الملابس الحريرية؟ ألا تفكر في أن هذه الملابس مغزولةٌ من الديدان (ديدان القز) وأنها مبتكرات البرابرة؟ ألا تفكر في أن هذه الملابس يستخدمها العواهر والمخنثون والمسجلون خطر واللصوص؟

اعرف جيدًا الغنى البار، وانزل من علوك وانتفاخك الفارغ. فَكِّرْ جيدًا في ضآلة طبيعية الإنسان. إنها طينٌ ورمادٌ وترابٌ ودخانٌ وظلالٌ وعشبٌ وزهرُ عشبٍ. اخبرني، ألأجل مثل هذه الطبيعة، تتكبر؟ أيُّ أمرٍ مضحكٍ أكثر من هذا؟ هل أنت تسود على أناس كثيرين؟ ما الفائدة في أن تسود على بشر، ألست أسيراً وعبداً

لشهواتك؟ إن حالك هنا يبدو وكأنك مثل شخصٍ، بينما هو في بيته، يتلقى لطمات وجروح من خُدام بيته، لكن في الخارج يدخل السوق متغطرسًا، لمجرد أنه يسود على آخرين. هكذا أنت أيضًا، محبة المجد الباطل تلطمك، والفسق يجرحك، أنت عبدٌ لكل الشهوات، ولكنك تتغطرس لأنك تسود على اخوتك في الإنسانية؟ ليتك تسود على تلك الشهوات، وأن تكون مساوياً لإخوتك.

الغنى ليس شراً في حد ذاته

٢- أنا لا أقول هذه الأقوال لكي أدين الأغنياء، لكن أولئك الذين يستخدمون الغنى بِشَرٍّ؛ لأن الغنى ليس شراً، إذا كنا نستخدمه كما يجب، لكن الشرَّ في الحماقة والغطرسة. إذا كان الغنى شرًا، فلا نطلب إذن أن نذهب جميعاً إلى حضن إبرآم الذي كان لديه ٣١٨ خادماً وُلِدوا في بيته. إذن، ليس الغنى شرًا، بل الشر هو الاستخدام السيء له. ومثلما تحدثت في المرة السابقة عن الخمر، فإنني لم أتهم عصير الكرمة في حد ذاته (لأن كل خليقة الله حسنة، ولا شيء لا قيمة له حين نأخذه ونحن شاكرين الله)، هكذا أيضًا الآن، لا أدين الأغنياء، ولا الأموال بافتراء، بل الاستخدام السيئ للأموال التي تُصرف بتبذير. لأجل هذا سُميت أموالٌ χρήματα[٣] لكي نستخدمها نحن، لا أن تستخدمنا هي، لأجل هذا سُميت ممتلكات لكي نمتلكها نحن، لا أن تمتلكنا هي. لماذا إذن تمتلك عبدا يسود عليك؟ لماذا تعكس النظام؟

أود أن أعرف، ماذا يفعل الآن الذين هجروا الاجتماع، ومع مَنْ هم الآن؟ أيلعبون النرد، أم أنهم مشغولون بأمور معيشية مملوءة بالاضطراب؟ إن كنت هنا معنا، أيها الإنسان، لكنت في هدوء وسكينة، كأنك في ميناء. لا المفتش المالي يدخل عليك مسبباً لك الاضطراب، ولا رئيس يزعجك، ولا خادم يشتتك بأمور معيشية، ولا أحد آخر يغضبك، بل بكل هدوءٍ، سوف تتمتع بالمسامع الإلهية. لا توجد هنا أمواجٌ، ولا اضطراب، بل بركة وطِلبات وعظة روحية، وانتقال إلى السماء، وحين تخرج من هنا تكون بالفعل قد أخذت من وعد ملكوت السماوات.

٣ - كلمة أموال من الكلمة اليونانية χρήση بمعنى "استخدام" لذلك يركز القديس يوحنا ذهبي الفم على أن الأموال موجودة لكي نستخدمها وليس العكس لكي تستخدمنا.

لأي سبب تترك المائدة الغنية إلى مائدة أخرى مبتذلة، وتهجر الميناء وتستبدل الاضطراب بالهدوء؟ أن لا يأتي الفقراء الذين كانوا وقتذاك حاضرين، لهو بالتأكيد شر، لكن ليس شراً أكبر من عدم مجيء الأغنياء، لماذا؟ لأن الفقراء لديهم انشغال حتمي، الاعتناء بالعمل اليومي حيث يكسبون بأيديهم أمور الحياة، يهتمون بإطعام أولادهم، يراعون الزوجة، وأن لم يتعبوا لن يحصلوا على ضرورات الحياة. أقول هذه الأمور لا لكي أدافع عن أولئك، بل لكي أُظهر أن الأغنياء يستحقون إدانةً أعظم. على قدر الراحة الكثيرة التي يستمتعون بها بقدر الانتقاد الشديد الذي يواجهونه؛ لأنه لا مقارنة بين ما يعانيه الفقراء، وما يستمتع به الأغنياء. ألا ترى اليهود، محاربي الله الذين يثرثرون ضد الروح القدس، وقساة الرقاب؟ كل الذين لم يأتوا إلى اجتماعنا هم أسوء من هؤلاء جميعًا. أولئك اليهود، إذا قال الكهنة أن لا يعملوا سبعة أيام، وعشرة، وعشرون، وثلاثون لا يعترضون، بالرغم من أن ما هو أكثر رعبًا يتحقق من تلك العطلة؟ يغلقون الأبواب، ولا يشعلون النار، ولا يحضرون ماء، ولا يُسمح بالتعامل مع أي شيء آخر تقتضي الضرورة التعامل معه، العطلة بالنسبة لهم قيد، وبالرغم من ذلك لا يعترضون. لكن أنا لا أقول شيئًا مثل هذا، فقط اقرضني ساعتين في اليوم واحتفظ بالباقي لك، حتى هذا لا تفعله. الأفضل من ذلك، لا تقرضني ساعتين، بل أقرض ذاتك لكي ترحل وأنت مملوء بالبركات، لكي تذهب وأنت آمن ومطمئن، لكي تأخذ إجابةً عن الأسئلة الروحية وتصير محصناً ومنيعاً من الشيطان.

اخبرني، أي شيءٍ يسعدك أكثر من الإقامة هنا؟ وإن كان يجب أن نقضي اليوم هنا، ما هو الأكثر تعقلاً من ذلك؟ وأي مكانٍ أأمن من المكان الذي يتواجد فيه هذا الحشد من الأخوة، حيث الروح القدس، حيث يسوع وأبيه في الوسط؟ أي تجمُّعٍ آخر تطلبه؟ أي مجلس آخر؟ أي مجمع؟ هناك خيرات كثيرة على المائدة، في السمع في البركات، في الطِلبات، في التعاملات، وأنت ترى مُتعاً أخرى؟ فأي غفران يمكن أن تناله؟

أنا لم أقل هذه الأقوال لكي تسمعوها أنتم؛ لأنكم لستم في احتياجٍ للأدوية، لأنكم بالأعمال أظهرتم أنكم متعافون، وأظهرتم الطاعة، وباعتنائكم بالمجيء، عِظَم

الشوق (الرغبة)، لكنني أقولها لكم لكي يسمعها الغائبون من خلالكم. لا تقولوا فقط إنني أدنت هؤلاء الذين لم يأتوا، بل اخبروهم بما قلته من البداية. ذكِّروهم باليهود، ذكِّروهم بالاهتمامات المعيشية. قولوا لهم إن الاجتماع هنا هو الأفضل، كم هم ينشغلون بأمور العالم، اخبروهم كم هو أجر هؤلاء المجتمعين هنا. لأنه، إذا قلتم فقط إنني أدنتهم، تثيرون الغضب وتجرحونهم، وبذلك تمنعون عنهم الدواء، لكن اعلِموهم أنني أدنتهم، ليس بكوني عدواً، بل حبيباً يتألم من أجلهم، وقولوا لهم: "أمينةٌ هي جروح المحب، وغاشةٌ هي قبلات العدو" (أم ٢٧:٦)، وسوف يقبلون بسعادةٍ كبيرةٍ هذه الإدانة، لأنهم عندئذٍ لن يتوقفوا عند الأقوال، بل إلى قصد ونية المتحدث.

هكذا تُشفُون إخوتكم. نحن مسئولون عن خلاص الحاضرين، وأنتم مسئولون عن الغائبين. لا أستطيع أنا نفسي أن أقابلهم، دعوني أن أقابلهم من خلالكم، ومن خلال تعليمكم. ليت محبتكم تصير جسرًا بيني وبين أولئك. اجعلوا أقوالي في لسانكم لكي يسمعها أولئك.

لعل ما قيل بسبب الغائبين يكفي، ولا يجب أن أضيف شيئًا أكثر. لأنه بالرغم من أنه يمكنني أن أقول ما هو أكثر، لكن حتى لا أقضي الوقت كله في الإدانة بدون أن أفيدكم أنتم الذين حضرتم، دعونا نمضي لأُقدِّم لكم طعاماً غير معتاد وجديداً. وأقول غير معتاد وجديداً، ليس من جهة المائدة الروحية، بل غير معتاد لمسامعكم.

أهمية عنوان سفر: «أعمال الرُسُل»

٣- لقد تحدثت إليكم في الأيام السابقة من الأقوال الرسولية والإنجيلية. عندما تحدثت عن يهوذا، تحدثت إليكم أيضًا من الأقوال النبوية. أود اليوم أن أحدثكم من سفر أعمال الرسل. لأجل هذا سميته طعاماً معتاداً وغير معتاد. فهو معتادٌ؛ لأنه ينتمي إلى الكتب المقدسة، وغير معتاد لأن مسامعكم لم تعتد مثل هذا السمع. كثيرون لا يعرفون هذا السفر، بينما كثيرون من الذين يعتبرونه معروفاً، يتغافلون عنه. هكذا يصير الجهل للأولين، والمعرفة للآخرين دافعاً إلى اللامبالاة. إذن، لكي يتعلم الذين يجهلونه، والذين يعتقدون أنه يتضمن مفاهيم عميقة وعظيمة، الحاجة اليوم ماسة لأن نغيِّر تفكير كلاهما.

أولاً، يجب أن نَعَلمَ مَنْ هو كَاتِبَ السفر؛ لأن هذا هو بداية المتابعة الممتازة للبحث، أن نرى أولاً الكاتب، هل هو الإنسان أم الله؟ فإن كان إنساناً، دعونا أن نتجنبه لأنه يقول: ''وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ، وَأَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ'' (مت ٢٣: ٨)، لكن بما أنه هو الله، فلنقبله؛ لأن تعليمنا هو من السماء، لأن هذا هو أصل الكنيسة، أن لا تتعلم شيئًا من الناس، بل من الله بواسطة البشر.

إذن، يجب أن نفحص مَنْ كان الكاتب، ومتى كُتب، ولمنْ، وما السبب الذي يجعلنا نقرأه في هذا العيد؟ ربما لم تسمعوا أن هذا السفر يُقرأ على مدار العام. لأنه مفيد عمليًا. وبعد هذا يجب أن نبحث عن السبب في كتابة ''سفر أعمال الرسل''. لأنه لا يجب أن نمر ببساطة على العناوين المكتوبة، أو أن نلقي النظر على نص السفر، بل يجب أن نرى أولاً عنوان السفر. لأن العنوان بالنسبة للسفر هو مثل الرأس بالنسبة لنا، حيث يجعلنا نتعرف على بقية الجسد، ومثلما يجعل الوجه، الذي يوجد عاليًا، الرأسَ ظاهرًا، هكذا العنوان الذي يُوجد عاليًا، وموضوعاً على الجبهة قبل المحتوى، يجعل لنا بقية المكتوب واضحًا. ألا ترون هذا الأمر أيضًا في الأيقونات الملوكية، حيث تحتل أيقونة الملك المكان الأعلى، بينما تسجَّل في الأسفل بطولات وكؤوس الملك، والنصر والإنجازات؟

أهمية العناوين في الكتب المقدسة

نفس الأمر إذن يمكن للمرء أن يراه في الكتب المقدسة. في الأعلى أيقونة الملك مرسومة، ومن أسفل نجد الانتصارات، والكؤوس والإنجازات. وهو ما نفعله أيضًا عندما نتلقى رسالةً، فلا نمزق مباشرةً المظروف، ولا نقرأ مباشرةً كل ما يوجد بالداخل، لكن أولاً نفحص المكتوب الخارجي، ومنه نتعرف على الراسل والمرسل إليه. وكيف لا يكون من غير المعقول أن نظهر اهتماماً عظيماً جدًا بالنسبة للأمور المعيشية، دون أن ننزعج أو أن نضطرب، بل نعمل كل واحد بدوره، بينما هنا لا نبالي بالعنوان ونمضي مباشرةً إلى بداية المكتوب؟

هل تريدون أن تعلموا قدر قوة العنوان المكتوب؟ كيف تكون قوته؟ ما هو الكنز الموجود في عناوين الكتب المقدسة؟ اسمعوا حتى لا تستهينوا بعناوين الأسفار الإلهية. فقد ذهب مرةً بولس إلى أثينا (هذه القصة مكتوبة في هذا السفر)، فوجد في المدينة ليس سفراً مقدساً، بل مذبحاً للأوثان، وجد عليه عنواناً يقول: «إلى الإله المجهول» (أنظر أع ١٧: ٢٣). فلم يغفله، بل من العنوان المكتوب على المذبح، هَدَمَ المذبح. القديس بولس الذي كان لديه نعمة الروح، لم يغفل المكتوب على المذبح، وأنت تتغافل عن المكتوب على الكتب المقدسة؟ ذاك لم يترك الأقوال التي كتبها الوثنيون أهل أثينا، وأنت لا تعتقد بضرورة الأقوال التي كتبها الروح القدس؟ أيُّ غفران سوف تناله؟

دعونا نرى ما هو المكسب الذي يمكن أن نجنيه من العنوان المكتوب. حسنًا، عندما ترى الأهمية العظيمة للمكتوب الذي سُطِّرَ على المذبح، سوف تعلم كم بالأكثر جدًا مدى أهمية هذه العناوين المكتوبة للكتب المقدسة. جاء بولس إلى المدينة، فوَجَدَ مذبحاً مكتوباً عليه "إلى الإله المجهول". ما الذي كان يجب عليه أن يفعله؟ الكل كان من اليونانيين، الجميع غير مؤمنين. إذن ماذا كان عليه أن يفعل؟ أن يتحدث إليهم من الأناجيل؟ كانوا سيضحكون عليه. ربما من الأنبياء وأسفار الناموس؟ لكنهم لن يؤمنوا. إذن ماذا فعل؟ أسرعَ إلى المذبح وبأسلحة الأعداء أسَرَهُم. وهذا يعني ذاك الذي يقوله: "صِرْتُ لِلضُّعَفَاءِ كَضَعِيفٍ لأَرْبَحَ الضُّعَفَاءَ. صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ، لأُخَلِّصَ عَلَى كُلِّ حَال قَوْمًا، وَلِلَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلاَ نَامُوسٍ – مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلاَ نَامُوسٍ للهِ، بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ. لأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ، فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ" (١ كو ٩: ٢٢، ٢١، ٢٠). لقد رأى المذبح، ورأى المكتوب عليه، ثم دُفع من الروح القدس. لأن نعمة الروح هي التي تعمل من كل جانب على أن يكسب هؤلاء الذين يقبلونها. هذه هي أسلحتنا الروحية. لأنه يقول: "هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ" (٢ كو ١٠: ٥).

إذن، فقد رأى المذبح ولم يجزع، بل نقل المذبح إلى صَفِّه، أو بشكلٍ أفضل، ترك المكتوب عليه وغَيَّرَ مفهومه. ومثلما يحدث في الحرب، عندما يرى أحد الجنود جندياً أخر باسلاً في صف الأعداء، فإنه بعدما يخطفه من شعره، ينقله إلى صفِّهِ ويجعله يحارب لصالحه، هكذا فعل بولس أيضاً. فإذ وجد العنوان المكتوب على المذبح، كأنه جنديٌّ في صف الأعداء، نقله إلى صفِّه لكي يحارب معه أهل أثينا، وليس إلى صف أهل أثينا ضد بولس. لأن ذاك العنوان كان سيفُ أهل أثينا، سكين الأعداء، لكن هذا السكين قطع رأس الأعداء. من غير المُدهش أن يأسرهم بأسلحته هو، لأن حدوث هذا من الأمور المنطقية. لكن لم يُسْمع، بل ومن الغريب أن تصير أسلحة الأعداء ذاتها، آلات حربية ضدهم، لأنه أخذ السيف الموجَّه ضده وضربهم به ضربةً مميتةً.

٤- هذه هي قوة الروح. هكذا فعل مرةً داود. خرج بدون أسلحة لكي يحارب، لكي تظهر بكل وضوح نعمة الله. ولسان حاله يقول: ليتني لا استخدم قوتي البَشَرية لكي يحارب الله لأجلنا. حسنًا، لقد خرج داود بدون أسلحة، وألقى إلى أسفل ذاك البرج (جليات الجبار)، ولأنه لم يكن لديه أسلحة، أسرع وأخذ سيف جليات وقطع رأس البربري (أنظر ١ صمو ١٧:١ - ٥٤). هكذا أيضاً فعل بولس بالعنوان المكتوب على المذبح. ولكي ندرك تماماً كيفية النصر، سوف أقول لكم أيضًا أهمية العنوان المكتوب.

لقد وَجَدَ بولس على المذبح مكتوباً "إلى الإله المجهول"، لكن مَنْ كان ذاك الذي يجهلونه إلَّا المسيح؟ أرأيت كيف أَسَرَ تمامًا العنوان المكتوب، ليس لأجل شر أولئك الذين كتبوه، بل لأجل خلاصهم والعناية بهم؟ ماذا إذن؟ هل كتب أهل أثينا هذا المكتوب عن المسيح؟ إن كان عن المسيح، لَكان ذلك غير مدهشٍ على الإطلاق، لكن المدهش أن أولئك بالرغم من أنهم كتبوه بمفهوم آخر، إلا أن بولس أستطاع أن يغيِّر مفهومه. لكن من الضروري أولاً أن نذكر السبب الذي لأجله كتب أهل أثينا "إلى الإله المجهول". لأي سبب كتبوا؟ كان لدى أولئك آلهةٌ كثيرة، أو من الأفضل، نقول شياطين كثيرة؛ "لأَنَّ كُلَّ آلِهَةِ الشُّعُوبِ أَصْنَامٌ، أَمَّا الرَّبُّ فَقَدْ

صَنَعَ السَّمَاوَاتِ'' (مز ٩٦:٥). لقد كان لديهم شياطين محلية وأخرى غريبة. هل رأيتم كمَّ السخرية. إذن لقد قبلوا هذه الإلهة من آبائهم، وقبلوا أخرى من الشعوب المجاورة. على سبيل المثال من السكيثيين، من أهل ثيراكي، من المصريين، وإذا أردتم، أستطيع أن أقرأ لكم كل هذه القصص، شرط أن تعرفوا اللغة اليونانية.

إذن، لأنهم لم يقبلوا الآلهة من البداية، بل تدريجيًا بدأت هذه في الظهور، البعض في عصر آبائهم، وآخرون في جيلهم، تجمَّعوا وقالوا فيما بينهم: مثلما كُنا نجهل هؤلاء، ثم بعد ذلك قبلناهم وعرفناهم، هكذا يمكن أن يوجد واحدٌ مجهولٌ هو الله بالتأكيد، لكن لم نعرفه بعد. لأجل هذا ظلَّ مهمشًا، دون أن نعبده. ما الذي كان يجب أن يحدث؟ أقاموا مذبحاً وكتبوا عليه ''إلى الإله المجهول''، أي، إذا كان يوجد إلهٌ آخر لا نعرفه بعد، ليتنا نعبده أيضًا. لاحظ التقوى الفائقة. لأجل هذا قال بولس في بداية حديثه: ''«أَيُّهَا الرِّجَالُ الأَثِينِوِيُّونَ! أَرَاكُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ كَأَنَّكُمْ مُتَدَيِّنُونَ كَثِيرًا'' (أع ١٧:٢٢). لأنهم لم يعبدوا فقط الآلهة التي عرفوها، بل هذه التي لم يعرفوها بعد. لأجل هذا كتب أولئك هذا العنوان: «إلى الإله المجهول»، بينما تكفل بولس بشرح هذا المكتوب لهم. ولأن أهل أثينا قالوا هذا عن آخرين، لكن بولس نقل المكتوب على المسيح مستأسراً المفهوم، واضعًا إياه في صَفَهُ. لأنه يقول: ''لأَنَّنِي بَيْنَمَا كُنْتُ أَجْتَازُ وَأَنْظُرُ إِلَى مَعْبُودَاتِكُمْ، وَجَدْتُ أَيْضًا مَذْبَحًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ: «لإِلهٍ مَجْهُول». فَالَّذِي تَتَّقُونَهُ وَأَنْتُمْ تَجْهَلُونَهُ، هذَا أَنَا أُنَادِي لَكُمْ بِهِ''؛ لأن الله المجهول، ليس هو إلا المسيح.

هنا أدعوك أن تلاحظ الحكمة الروحية. كان عليهم بعد كل هذا أن يتهموه قائلين: إنك تقدم تعاليم غريبة على مسامعنا، وابتداعات، إنك تقدم لنا إلهاً لا نعرفه. لكننا نجده، وهو يريد أن يتحرر من الشُبهة المتعلقة بالابتداع، ويبرهن على أنه لا يكرز بإلهٍ غريب، بل بذاك الذي كرَّموه مسبقًا بالعبادة، أضاف وقال: ''فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادي لكم به'' (أع ١٧:٢٣).

كأنه يقول لهم: أنتم سبقتموني، وتقواكم وعبادتكم قد لحقت بكرازتي. إذن، لا تتهموني بأنني قدمت لكم إلهاً غريباً، لأنني أجعله معروفًا، هذا الذي عبدتموه

دون أن تعرفوه، ليس بالطبع بالأسلوب الجديرُ بها، لكنكم عبدتموه. أنتم لم تقيموا للمسيح مثل هذا المذبح، بل مذبحاً حيَّاً وروحياً، لذا أستطيع عن طريق هذا المسيح، أن أقودكم إلى ذاك. هكذا أيضًا عَبَدَ اليهود قديمًا، لكن كل الذين آمنوا منهم، ابتعدوا عن العبادة الجسدية وأتوا إلى العبادة الروحية.

هل رأيت حكمة بولس؟ هل رأيت تدبيره؟ هل رأيت كيف أسرهم، ليس بالأناجيل ولا بالأسفار النبوية، بل بواسطة العنوان المكتوب على المذبح؟ إذن، لا تتغافلوا أيها الأحباب عن العنوان المكتوب على الأسفار الإلهية. فبما أنك جادٌ ويقظ، فسوف تجد في الكتابات الغريبة عن الكتاب شيئًا مفيدًا، أما لو كنت غير مبالٍ وخاملٍ وكسولٍ، فلا شيء يمكن أن يكون مفيداً بالنسبة لك حتى ولو كان من الكتب المقدسة. لأنه مثلما يربح من كل ناحية، ذاك الذي يعرف كيف يربح، هكذا أيضًا يذهب فارغاً ذاك الذي لا يعرف، حتى لو وَجَدَ كنزاً.

هل تريدون أن أقول لكم أيضًا مبرراً آخر على أهمية العنوان المكتوب؟ هذا ما نقله الإنجيلي عن شخصٍ آخر، وإن كان بمفهومٍ مختلف. حسنًا، انتبهوا إذن تماماً. لكي تعلموا كيف أَسَرَ ذاك مفهوم طاعة البشر إلى طاعة المسيح، عندئذٍ تعرفون أنه لو استطعنا أن نأسر الأقوال الغريبة، عندئذٍ يمكننا أن نتجر بها، ونكسب من وراء ذلك مكسباً عظيماً. كان قيافا رئيسَ كهنةٍ في ذلك الزمن، عندما أتى اليهود عملاً شريراً وأهانوا رتبة الكهنوت، جاعلين رئاسة الكهنوت بالرشوة. الأمر الذي لم يحدث من قبل؛ لأن كهنوت رئيس الكهنة كان ينحل فقط بالموت، لكنهم في هذا الوقت كانوا يعيِّنون رؤساء كهنة في حياة رؤساء الكهنة السابقين: إذن، كان قيافا رئيس كهنة في ذلك الزمن، وقد حشد اليهود ضد المسيح، ولأن الحسد قد استولى عليه، حكم بوجوب موته، دون أن يستطيع أن يوجّه له اتهاماً واحداً.

هكذا يكون الحسد، عندما يُرَدُّ على الاحسانات بمثل هذه المكافآت، فقد ابتدع سبباً للغدر، عندما قال: ''وَلاَ تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا!'' (يو ١١: ٥٠). لكن لاحظ كيف تم تطويع هذا القول، وأنه بالرغم من أن هذا القول كان مجرد حديث لأحد الكهنة، إلا أن مفهومه

يمكن أن يصير مفهوماً روحياً. «وَلاَ تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا!" (يو ١١: ٥٠)؛ لأن الإنجيلي يقول: «وَلَمْ يَقُلْ هذَا مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، تَنَبَّأَ» (يو ١١: ٥١) بأنه يجب أن يموت المسيح، ليس فقط لأجل اليهود، لكن أيضًا لأجل كل الأمة. لأجل هذا أيضًا قال: «خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا». هل رأيت قوة الله، كيف يجبر لغة الأعداء لكي تتحدث بالحق؟

حديث إلى المستنيرين الجُدُد

٥- إذن، يكفي ما قيل لكي لا نتجاوز عناوين الكتب المقدسة، إن حفظتموه في ذاكراتكم. كنت أود أن أقول لكم أيضًا مَنْ يكون كاتب السفر، ومتى، ولأي هدف كتبه؟ لكن هذا سوف نقوم به غدًا؛ لأني أريد أن أقدِّم حديثي إلى المستنيرين الجُدد، ليس فقط أولئك الذين عُمِّدوا قبل يومين أو ثلاثة ولا قبل عشرة أيام، بل أيضًا إلى أولئك الذين عُمِّدوا قبل وقت كبير، لأن هؤلاء يجب أن نسميهم هكذا بالتأكيد، إذا أظهرنا اهتماماً كبيراً بنفوسنا، لأننا يمكن بعد عشر سنوات، أن نظل مستنيرين جُدداً، إذا حافظنا على شبابنا الذي وُلِدَ فينا بواسطة المعمودية. لأن الزمن لا يصنع المستنير الجديد، بل الحياة الطاهرة، إذ يمكن لمن لا ينتبه أن يفقد كرامة تسميته، ولو بعد يومين اثنين.

وسوف أذكر مثالاً عن هذا الأمر، أي كيف يفقد المستنير الجديد مباشرةً، بعد يومين نعمة الاستنارة وكرامة التسمية. وأنا أذكر مثالاً حتى ترون الخطأ، فتحافظون على خلاصكم. لأنه ليس فقط بأمثلة هؤلاء الذين سقطوا، يجب أن أقوِّمكم وأشفيكم. لقد تاب سيمون الساحر، وهذا ما يقوله الكتاب، وبعدما عُمِّدَ التصق بفيلبس معايناً للمعجزات. لكن بعد أيام قليلة، مباشرةً رَجَعَ إلى شَرِّه وأتى بأموال لكي يشتري الخلاص. ماذا إذن يقول بطرس لهذا المستنير الجديد؟ "فَتُبْ مِنْ شَرِّكَ هذَا، وَاطْلُبْ إِلَى اللهِ عَسَى أَنْ يُغْفَرَ لَكَ فِكْرُ قَلْبِكَ، لأَنِّي أَرَاكَ فِي مَرَارَةِ الْمُرِّ وَرِبَاطِ الظُّلْمِ" (أع ٨: ٢٢ - ٢٣). فحاله كان حال من وقع في خطأ لا يُغتفر، دون أن يكون قد دخل في مناقشةٍ بعد.

إذن، فمثلما يمكن للمستنير الجديد أن يقع بعد يومين ويفقد نعمة وتسمية المستنير الجديد، هكذا أيضًا بعد عشرة سنوات وعشرين، وحتى (اليوم الأخير) يمكن للمرء أن يحتفظ بهذا البهاء، وهذا الاسم الفاضل. ويشهد على هذا الأمر، بولس الرسول الذي لمع في شيخوخته بالأكثر. إذن، فطالما كان شبابنا الذي وُلِدَ فينا بواسطة المعمودية لا يستمر من نفسه، إذن، يتوقف ذلك على اختياراتنا، وما إذا كنا نريد أن نشيخ أو أن نظل شباباً. ولأن المرء يمكنه أن يحافظ على جسده إذا اعتنى به ولم يهلكه، بل حافظ عليه ولم يعذِّبه بالأتعاب والعمل المستمر، إلا أنه، وعلى الرغم من ذلك، سوف تلحقه الشيخوخة وفقاً لناموس الطبيعة. غير أن ما يصدق على الجسد لا يسرى بالنسبة للنفس، فالنفس إن لم تدمرها أو تعذبها بأتعاب المعيشة والاهتمامات الدنيوية، فسوف تظل على شبابها دون أن يلحقها أي تغيير. ألا ترون النجوم التي في السماوات؟ إنها لستة آلاف عام تنيرنا، وبحسب طبيعتها لم يظلِّم أيٌّ منها، بل ظل نورها متوهجاً. لكن حيث يكون هناك اختيارٌ حرٌّ لا يستمر لمعانها ثابتاً كما كان منذ البداية. لكن، أليس من الأفضل لنا -إذا أردنا- أن يصير هذا النور أكثر بهاءً، إذا اشتركت أشعة الشمس في إذكاءه؟ هل تريد أن تعرف كيف يمكن أن تظل جديداً في استنارتك مهما مر الوقت؟ اسمع ماذا يقول بولس لأناس قد تعمدوا قبل وقت كبير: ''فَقَطْ عِيشُوا كَمَا يَحِقُّ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، حَتَّى إِذَا جِئْتُ وَرَأَيْتُكُمْ، أَوْ كُنْتُ غَائِبًا أَسْمَعُ أُمُورَكُمْ أَنَّكُمْ تَثْبُتُونَ فِي رُوحٍ وَاحِدٍ، مُجَاهِدِينَ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ لإِيمَانِ الإِنْجِيلِ'' (في ١:٢٧) اخلعوا الثوب القديم والممزق، وامسحوا ذواتكم بالميرون الروحي، صيروا جميعكم أحرارًا. ليتكم لا ترجعون إلى العبودية السابقة. اعلموا أنكم تخوضون غمار حرب ومنافسة.

لا يصارع أحدٌ بينما هو مستعبدٌ، لا يتجند أحد في الوقت الذي يكون فيه خادماً لآخر، لأنه إن قُبض عليه وهو على هذه الحال، ينال عقاباً ويُمحى اسمه من قائمة الجنود. لا يحدث ذلك فقط في الجندية، بل أيضًا في الألعاب أو المنافسات الأوليمبية، حيث يسري ذات الأمر. لأنه بعد أن يقيم الرياضيون ثلاثون يومًا هنا، يقودونهم إلى ساحة العرض، وبينما كل المشاهدين جالسين، ينادي المذيع: ''هل يتهم أحدكم واحداً منهم بالعبودية''؟ حتى إذا تحرر من شُبهة العبودية، يشترك

هكذا في المنافسة. فإذا كان الشيطان لا يقبل العبيد في مسابقته، كيف تتجرأ أنت على الدخول في منافسات المسيح في الوقت الذي صِرت فيه عبداً للخطية؟ هناك يقول المذيع: ''هل يتهم أحدكم واحداً منهم بالعبودية؟''، لكن هنا، لا يقول المسيح هذا، بل يقول: ''حتى لو كان الجميع يتهمونك قبل المعمودية، أنا سوف أقبلك وأحررك من العبودية، وبعدما أجعلك حُرًا سوف أُدخِلك إلى المنافسات''.

هل رأيت كم هي محبته للبشر؟ هو لا يفتش عن الأمور التي فعلناها، لكنه يطلب مسئوليتك عن الأمور الآتية. كأنه يقول: عندما كُنت عبداً، كان لديك مشتكون لا حصر لهم: الضمير، الخطايا، كل الشياطين. لكن لا أحد من هؤلاء يحركني ضدك، ولا يجعلني أعتبرك غير مستحق لمسابقاتي، بل قبلتك، ليس بسبب استحقاقك، بل بسبب محبتي للبشر. إذن، يجب أن تستمر في المنافسة، سواء أكنت تجري أو تلاكم أو تصارع، ليس في الخفاء ولا بدون سبب ولا بلا هدف. اسمع ماذا صنع بولس للتو حين صَعَدَ من ماء المعمودية، على الفور جَاهَدَ، كَرَزَ بأن هذا هو ابن الله، وسَبَّبَ اضطراباً لليهود من اللحظة الأولى (أنظر أع ٩:٢٢).

قد تقول إنك لا تستطيع أن تكرز، ولا أن تعلم؟ إذن عَلِّمْ بأعمالك وسلوكك، تألق بأعمالك: ''فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ'' (مت ٥:١٦). لا تستطع أن تجلب اضطراباً لليهود بالكرازة؟ اجعلهم يضطربون بسلوكك، اجعل الوثنيين أيضاً ينزعجون بتغييرك.

لأنه، عندما كانوا يرونك من قبل، فاسقاً وزانياً ولا مبالياً وفاسداً، ثم تتغير كليةً، ومع التغيُّر الذي صار بسبب النعمة، يظهر التغيير أيضًا في تصرفاتك، لن يرتبكوا ولن يقولوا هذا الذي قيل بواسطة اليهود في حالة المولود أعمى: ''فَالْجِيرَانُ وَالَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَهُ قَبْلاً أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى، قَالُوا: «أَلَيْسَ هذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ وَيَسْتَعْطِي؟» آخَرُونَ قَالُوا: «هذَا هُوَ». وَآخَرُونَ: «إِنَّهُ يُشْبِهُهُ». وَأَمَّا هُوَ فَقَالَ: «إِنِّي أَنَا هُوَ»'' (يو ٩:٨ – ٩). لأن هذه الأقوال تأتي من أولئك الذين سقطوا في الارتباك، لدرجة أنهم يتشككون في المعروف عندهم، أي يصطدمون بذواتهم، إذ لا يؤمنوا بضميرهم ولا بأعينهم. ذاك طَرَدَ الشلل الجسدي، أُطرد أنت الشلل النفسي.

ذاك فتَّح أعينه على الشمس، افتحها أنت على شمس البر.

أنت تعرف جيدًا الرب. إذن اعمل ما يحق لهذه المعرفة، لكي تحصل أيضًا على ملكوت السماوات بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح الذي به ومعه إلى الأب والروح القدس المُحيي المجد والكرامة والقوة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.



العظة الثانية[٤]

عن عنوان سفر أعمال الرسل،
وأن الحياة الفاضلة هي أكثر فائدة من العجائب والمعجزات،
وكيف يختلف أسلوب الحياة المستقيمة عن المعجزات؟

ثبات وحصانة الكنيسة

١- بعد فترة زمنية كبيرة رجعنا ثانيةً إلى أُمِّنا، إلى الكنيسة المحبوبة لجميعنا، إلى أُمِّنا وأُم كل الكنائس. هي أُمٌّ، ليس لأنها فقط الأعظم والأكبر في العُمر، بل لأنها أُسِّست أيضًا بأيدٍ رسولية. ليست بأيدٍ رسوليةٍ فقط، لأن رب الرسل سبق له أن حصَّنها بقرار منه. لذلك، فبالرغم من أنها هُدِمت من أجل اسم المسيح مرات عديدة، فقد أُعيد بنائها بقوة المسيح، بطريقةٍ جديدةٍ وغريبة. فهو لم يبنِ جداراً، واضعاً خشباً وحجارةً، ولا أمَّنها من الخارج صانعاً خندقاً وساتراً من الركام على الأرض، ولا أقام أبراجاً عاليةً، بل قال كلمتين فقط. هاتان الكلمتان، وإن كانتا في غاية البساطة، إلا أنهما كانتا كافيتين لذلك بدلا من الجدران والأبراج والخنادق، أو أية وسائل أمان أخرى.

ما هي هذه الكلمات التي على هذا القدر الفائق من تلك القوة العظيمة؟

''وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها'' (مت ١٦: ١٨). هذا هو الحائط، هذا هو الجدار المحيط، هذا هو الأمان، وهذا هو الميناء والملجأ. لكن عليك أن تنتبه، من فضلك. لأنه لم يقل فقط بأنه لن تقوى عليها تهديدات البشر، بل ولا آلات الجحيم ذاتها، من هنا تماسُك ولحام الجدران. لم يقل ''لن يهينوها''، بل ''لن تقوى عليها''؛ لأنهم سوف يهينونها بالتأكيد، لكن لن ينتصروا عليها. لكن ماذا يعني بتعبير ''أبواب الجحيم''؟ لأن التعبير ربما يكون

٤- ألقيت أثناء الاجتماع في الكنيسة القديمة بعد وقت كبير من زمن العظة الأولى.

غامضًا. دعونا نعرف ما هي أبواب المدينة، وعندئذٍ سوف نعرف ماذا يعني بأبواب الجحيم. بوابة المدينة هي المدخل الذي يقود إلى المدينة، بالتالي أيضًا بوابةُ الجحيم هي الخطر الذي يقود إلى الجحيم. إذن يكون معنى العبارة: أنه مهما ضربتنا مثل هذه الأخطار وأهانتنا، حتى لو قادتنا إلى الجحيم ذاته، فسوف تظل الكنيسة ثابتة وغير متزعزعة.

وبالرغم من أنه يمكنه ألَّا يسمح بأن تختبر الكنيسة المتاعب، إلا أنه يسمح بذلك، فما هو السبب؟ لأنه أن يمنع التجارب لهو أعظم جدًا من أن يتركها لتأتي دون أن يسمح للكنيسة بأن تعاني أي شر نتيجة هجوم هذه التجارب عليها. ولكنه يسمح بأن تهجم عليها كل التجارب، حتى يجعلها أكثر ثباتًا، "بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضاً فِي الضِّيقَاتِ عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْراً، وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً، وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً" (رو ٥: ٣ - ٤). ولكي يُظهر عظمة قوته، يخطفها من أبواب الموت ذاتها. لأجل هذا ترك العاصفة. ولكنه حفظ السفينة من أن تغوص وتغرق. هكذا نحن أيضًا نُعجب بقائد السفينة، ليس عندما ينقذها مبحرًا بريحٍ مناسبة، ولا عندما يهب الهواء من ناحية مؤخرتها، لكن عندما يضطرب البحر وتتوحش الأمواج وتندلع كارثةٌ طبيعية، ثم تأتي خبرته الفنية لتقف أمام اندفاع (ثورة) الرياح وتختطف السفينة من وسط العاصفة.

هكذا فعل المسيح. لقد سمح للكنيسة أن تأتي إلى المسكونة كأنها سفينةٌ في بحر، لم يوقف العاصفة، بل اختطفها من العاصفة. لم يهدِّئ البحر، لكنه جعل السفينة في أمان. وبينما ثارت الشعوب ضدها في كل مكان، كأنها أمواج وحشية، وبينما تضربها الأرواح الشريرة، كأنها رياحٌ مرعبة، ومن كل جانب تثور عليها عاصفةٌ بأمطارٍ، يمنح هدوءاً عظيماً للكنيسة. والأكثر عجبًا، ليس فقط أن العاصفة الممطرة لم تدمر السفينة، بل السفينة هي التي دمَّرت هذه العاصفة. لأن الاضطهادات المستمرة، ليس فقط لم تبلع الكنيسة، بل هي التي ذابت واختفت بواسطة الكنيسة. كيف، وبأية طريقة، ومِن أين؟ من ذلك القرار الذي يقول: "أبواب الجحيم لن تقوى عليها". كم فعل عابدو الأوثان لكي يُمحوا هذا القول، كم صنعوا لكي يُلغوا هذا القرار؟ ولكنهم لم يتمكنوا من إبطاله؛ لأن القرار كان قرار الله.

ومثل برجٍ مصنوعٍ من أحجار الماس، ومربوطٍ بدقةٍ بواسطة الحديد، حتى لو ضربه الأعداء من كل جانب، فلا البناء يميل، ولا ينحل رباطه، بل يرحل هؤلاء الأعداء دون أن يصيبوا البُرجَ بأي ضررٍ، ودون أن يسببوا له أيَّ شَرٍّ، حتى أن قوتهم في هذه الحالة تبدو وكأنها بدون فائدةٍ. هكذا بالضبط أيضًا هذا القول، فهو كمثل برج عالٍ محصنٍ بأمان في المسكونة، يضربه عابدو الأوثان من كل جانب، يُظهِرون متانته، بينما تبدو قوتهم بلا فائدة، وهكذا يموتون.

ما الذي لم يتآمروا عليه ضد هذا القرار؟

قواتٌ متأهبة، أسلحةٌ تتحرك، ممالكُ تتسلح، شعوبٌ تثور، مُدنٌ تُحرَّض، قضاةٌ يغضبون، لقد ابتكروا كافة أنواع العقاب. لم يتغافلوا عن أي أسلوبٍ للعقاب. نيرانٌ وحديد، وأسنانُ وحوشٍ، وتجريدات واختناقات، ودفنٌ للأحياء، ضربٌ وصلبٌ وأتونٌ مشتعلٌ، كل العذابات التي لم تكن قد ظهرت حتى وقتذاك، دخلت حيزَ التطبيق. كمُّ التهديدات لا يُوصف، الوعودُ بكراماتٍ لا تُحد؛ حتى بالطريقة الأولى يرعبونهم، وبالثانية يحررونهم بالإغراء.

إذن، لم يتغافلوا عن كافة أنواع الضلال والقهر والعنف. لأن آباءً بالفعل سلَّموا أولادهم، وأولادٌ لم يعرفوا آبائهم، أُمهات نسوا آلام الولادة، ونواميس الطبيعة انقلبت. لكن أساسات الكنيسة لم تتزعزع إطلاقًا. الحرب نشبت بين الأقارب، ولكن جدرانها لم تُمس بسبب ذلك القول: "أبواب الجحيم لن تقوى عليها". إذن، لا تظن أنه كان مجرد قول، بل كان قولاً صدر من الله. لأن الله قد ثبَّت السماء أيضًا بكلمة (أنظر مز ٣٣:٦)، والأرض بكلمةٍ أسَّس فوقها المياه (أنظر مز ١٠٤:٥)، جاعلاً هذه الطبيعة الكثيفة والثقيلة تحمل فوقها تلك الطبيعة الخاملة والمائعة. والبحر الهادر في قوته، ذلك البحر ذو الأمواج الكثيرة، بكلمةٍ، أحاطه من كل جانبٍ بحائط ضعيف، أقصد الرمل. إذن، ذاك الذي بكلمةٍ ثبَّت السماء، أسَّس الأرض، سيَّج البحر، لماذا تتشكك إذن في أنه أحاط الكنيسةَ، التي هي أثمن جدًا من السماء والأرض والبحر، أيضًا بهذا القول؟

أساسات الكنيسة

٢- ولأن البناء كان غير متزعزعٍ أبدًا، والحائط ثابت جدًا، دعونا نرى كيف وضع الرُسل الأساسات، إلى أي عمق حفروا حتى صار البناء غير متزعزع؟ لم يحفروا بعمق، لم يحتاجوا لتعب ومجهود كبير، لماذا؟ لقد وجدوا الأساس القديم والأول، أساس الأنبياء. إذن، كمثل إنسان قصد أن يبني بيتا كبيراً، عندما وَجدَ أساساً قديماً وقوياً وثابتاً لم يستغنِ عنه، ولم يحرِّك الأحجار، بل تركه ليظل غير متزعزع، وهكذا وضعَ فوقه البناء الجديد والحديث. هكذا أيضًا الرُسل الذين قصدوا أن يبنوا هذا البناء العظيم، الكنيسة التي أسسوها في كل مكان على الأرض، لم يحفروا بعمقٍ، بل وجدوا الأساس القديم، أساس الأنبياء، فلم يستغنوا عنه، ولم يحركوا المبني والتعليم، بل تركوه ليظل ثابتاً، وهكذا أضافوا فوقه تعليمهم، أي إيمان الكنيسة الجديد.

ولكي تعرف أنهم لم يحركوا الأساس القديم، بل فوقه بنوا، اسمع المعماري ذاته يقول لنا عن دقة البناء؛ لأنه هو المعماري الحكيم: ''كبنَّاءٍ حكيم قد وضعت أساسًا'' (١ كو ٣: ١٠). دعونا نرى كيف وضع الأساس. يقول: فوق أساسٍ آخر قديم، أساس الأنبياء. مِن أين يظهر هذا الأمر؟ ''لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا. لِذلِكَ اذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمُ الأُمَمُ قَبْلاً فِي الْجَسَدِ، الْمَدْعُوِّينَ غُرْلَةً مِنَ الْمَدْعُوِّ خِتَانًا مَصْنُوعًا بِالْيَدِ فِي الْجَسَدِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ، لاَ رَجَاءَ لَكُمْ، وَبِلاَ إِلهٍ فِي الْعَالَمِ. وَلكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ. لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ أَيِ الْعَدَاوَةَ. مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلاَمًا، وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ. فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلاَمٍ، أَنْتُمُ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ. لأَنَّ بِهِ لَنَا كِلَيْنَا قُدُومًا فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ. فَلَسْتُمْ إِذًا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلاً، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ» (أفسس ٢: ٩ - ٢٠). أرأيت؟ أساسٌ وأساس. الواحد أساسُ

الأنبياء، والأخر هو أساس الرسل الذي وضِع فوق الأول. والأمر العجيب جدًا هو أن الرسل لم يأتوا مباشرةً بعد الأنبياء، بل توسَّطت بينهم فترةٌ زمنيةٌ كبيرة. لماذا؟ لأن البناؤون الممتازون يفعلون هذا، عندما يضعون أساساً لا يضيفون مباشرةً البناء، لأن الأساس ربما يكون حديثاً وليّناً لا يمكنه أن يتحمل ثِقل الجدران. لأجل هذا، بعدما يتركونه فترةً زمنيةً كبيرةً؛ حتى تتثبت الأحجار. وعندما يرونها جيدةً محكمة بشدة، عندئذٍ يضيفون أيضًا ثقل الجدران. هكذا فعل المسيح أيضاً، فبعدما ترك أساس الأنبياء يتثبَّت في نفوس السامعين، ويصير التعليم ثابتاً، عندما رأى المبني غيرَ متزعزعٍ، والعقائدَ المقدسةَ قد تثبتت جدًا، لدرجة أنها تستطيع أن تعقد اتفاقاً مع البنَّاء الجديد الحكيم، عندئذٍ أرسل الرُسل لكي يُقيموا جدران الكنيسة فوق أساس الأنبياء. لأجل لهذا لم يقل: "لقد بُنيتم على أساس الأنبياء"، بل "الذي فيه أنتم مبنيون"، أي قد بُنيتم فوقه.

لكن دعونا نرى كيف بُنوا.

حسنًا، من أين نعرف ذلك؟ من أي مكان أخر غير سفر أعمال الرُسل، الذي تحدثنا عنه في الأيام السابقة؟ لأنه ربما من هناك، أُداينكم بدينٍ صغير تقتضي الضرورة أن ندفعه اليوم. إذن ما هو هذا الدين؟ دعونا نحاول أن نشرح عنوان السفر ذاته؛ لأنه ليس بسيطاً وواضحاً كما يعتقد الكثيرون، بل هناك حاجةٌ للفحص. إذن، ما هو عنوان السفر؟ "أعمال الرُسل". ألا يبدو أن الأمر هو واضح؟ لا يبدو أنه معروفٌ وواضحٌ للجميع؟ لكن إذا تتبعتم ما يُقال، فسوف ترون عمقَ هذا العنوان. لماذا لم يقل: «معجزات الرُسل"؟ لماذا لم يضع العنوان: "آيات الرُسل"، أو "قوات وعجائب الرسل"، بل "أعمال الرُسل"؟ لأن الأعمال ليست هي نفسها الآيات، وليست الأعمال هي ذاتها المعجزات، وليست الأعمال هي ذاتها العجائب والقوات، بل الاختلاف بين الأثنين عظيم. لأن العمل هو إنجاز المحاولة الفردية، بينما المعجزة هي موهبة العظمة الإلهية.

أرأيت ما هو الاختلاف بين العمل والمعجزة؟ العمل هو نتيجة المجهودات البشرية، أما المعجزة فهي تعبيرٌ عن السخاء الإلهي. العمل يبدأ من اختيارنا، أما

المعجزة فتبدأ من نعمة الله. وبينما ينتج العمل عن القصد البشري، فإنه يعتمد على القوة الإلهية. العمل ينتج عن الاثنين، أي محاولتنا الخاصة، ومن النعمة الالهية، بينما المعجزة تُعبِّر عن النعمة المجردة، دون أن تحتاج لشيء من مجهوداتنا. العمل، أن يكون المرء متسامحاً وعاقلاً ومنضبطاً لكي يكبح الغضب وينتصر على الشهوة ويصنع إحسانًا ويتحلى بالمحبة للبشر، ويمارس كل فضيلة، هذا هو العمل والتعب ومجهودنا. المعجزة هي أن يطرد المرء الشياطين، أن يفتح أعين العُميان، أن يطهِّر أجساد البرَّص، أن يشفي الأعضاء المشلولة، أن يُقيم الأموات، أن يصنع معجزات أخرى مثل هذه. أرأيت كم الاختلاف بين الأعمال والمعجزات، بين أسلوب الحياة مستقيمة. والعلامات، بين محاولاتنا، ونعمة الله؟

الأعمال هي أعظم من المعجزات

٣- هل تريد أن أُبيِّن لك أيضًا، اختلافاً آخر؟ الغرض الأساسي من هذه العظة كلها أن تعرفوا ما هي المعجزة والعلامة. المعجزةُ بالتأكيد هي الأعظم والتي تتجاوز طبيعتنا، بينما العمل والحياة المستقيمة هي الأصغر من الآيات، لكنها، أي الحياة المستقيمة، هي الأكثر استخداماً، والأكثر فائدة؛ لأنها هي مكافأة الأتعاب وأُجرة المحاولة. ولكي تعرف أن العمل هو الأكثر فائدة، والأكثر مكسبًا، فإن العمل الحسن وبدون آيات، يُدخل إلى السماء أولئك الذين يُنجزونه، بينما المعجزة والآيات بدون أسلوب الحياة المستقيمة، لا تستطيع أن تقودهم إلى أعتاب السماء. وكيف يحدث هذا، أنا سوف أبرهنه لكم. لكن لاحظوا كيف أن الأعمال لها -بحسب كمال المكافآت- المكانة الأولى، وكيف أن الآيات عندما تكون بمفردها، لا تخلِّص هؤلاء الذين يفعلونها، بينما العمل عندما يكون بمفرده لا يحتاج شيئًا أخر لخلاص أولئك الذين يفعلونه. يقول المسيح: ''كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟'' (م ت٧: ٢٢).

أرأيت، في كل مكان آيات ومعجزات، دعونا نرى ماذا يقول الله؟ إذا كانت المعجزات مجردة (عارية)، وأبدًا لم تقترن بحياة مستقيمة، يقول: ''فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ

لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!" (مت ٧: ٢٣). إن لم تكن تعرفهم، فكيف تعرف أن هؤلاء قد مارسوا العصيان؟ لكي تعلم أنه "لم يعرفهم"، ليس عن جهلٍ، بل نتيجةَ كُرهٍ ونفور. "لا أعرفكم"، لأي سبب، اخبرني "ألم نطرد شياطين باسمك"؟ إذن لأجل أنني أكرهكم وأنفر منكم، يقول: لأنه ولا بالعطايا صِرتم أفضل، لأنه بالرغم من كل ما تمتعتم به من كرامة أعظم، بقيتم في نفس الشر "ابتعدوا عني أنا لا أعرفكم". ماذا إذن؟ هل في العصر القديم أخذ غير المستحقين مواهب، وهل صنع أُناسٌ -بحياةٍ فاسدةٍ- معجزات ونالوا عطيةً إلهيةً دون أن يحرصوا على سلوك حياةٍ فاضلة؟ لقد نالوا كل ذلك بسبب محبة الله للبشر، وليس عن جدارة واستحقاق. لأنه كان يجب أن يُغرس كلمة التقوى في كل مكان؛ لأنها كانت بداية وانطلاق الإيمان. مثلما يعتني مُزَارِعٌ ممتاز، بشجرة صغيرة عندما يزرعها في باطن الأرض، فلأنها بعدُ رقيقةٍ، يعتني بها، كثيرًا محيطًا إياها من كل جانب لكي يحصنها ويحميها بأحجارٍ وأشواك، لكي لا تُقتلع بواسطة الرياح، ولا تدمرها الحيوانات، ولم يتعامى عن أي شيء أخر ضار، لكن عندما يرى أنها قد تثبَّتت وارتفعت عاليًا، يهدم الأسوار؛ لأن الشجرة ذاتها أصبحت قادرة ألَّا تعاني شيئًا من مثل هذا. هكذا صار أيضًا مع الإيمان. فعندما كان الإيمانُ حديثَ العهد. عندما كان رقيقًا، عندما كان للتو منثورًا في نفوس الناس، أُهتم به كثيرًا من كل جانب. لكن عندما تثبَّت وتجذَّر وأخذ يعلو، عندما ملأ كل المسكونة، عندئذٍ هَدَمَ المسيحُ الأسرار الوثنية ودَمَّرَ الوسائل الوقتية.

لأجل هذا -في البداية- أُعطيت مواهب أيضًا لغير المستحقين؛ لأن العصر القديم كان يحتاج، من أجل الإيمان، إلى هذه المعونة. لكن الآن، لا تُعطى حتى للمستحقين، لأن قوة الإيمان لا تحتاج بعد إلى معونة. ولكي تعرف أن أولئك لم يقولوا أكاذيب، بل بالفعل عملوا معجزات، وأُعطيَ لغير المستحقين مواهب، لكي بواسطتهم تُنجز أعمال معجزية تُصاحب كل هذا الذي قالوه. هذا إلى جوار شيء آخر، لكي يخجل أولئك الغير المستحقين من عطية الله لهم، فيطردون الشر الذي فيهم. لقد اعترف الجميع أن يهوذا، واحدٌ من الاثني عشر، فعل معجزات، طرد شياطين، أقام موتى، طهَّر برَّصاً، لكنه فَقَدَ ملكوت السموات. لأن المعجزات لم

تستطع أن تخلصه؛ لأنه صار سارقاً ولصًّاً وخائناً للرب.

ما قلناه يُظهِر أن المعجزات لا تستطيع أن تخلِّص دون أن تقترن بحياة حسنة ومستقيمة، وطاهرة وكاملة.

أما قدرة الحياة المستقيمة، دون أن تستند إلى المعجزات، ودون أن ترافقها المعجزات، على أن تكتسب جرأةً -بذاتها وبمفردها- على الدخول إلى ملكوت السموات، فهذا ما يقوله المسيح ذاته: ''ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ'' (مت ٢٥: ٣٤). لأي سبب؟ هل أقاموا أموات؟ هل لأنهم طهَّروا بُرَّصاً؟ هل لأنهم طردوا شياطين؟ لا. لكن ماذا؟ يقول: ''جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ'' (مت ٢٥: ٣٥ - ٣٦).

إذن، ليست المعجزات على الإطلاق، بل دائماً الحياة المستقيمة والصحيحة. إذن، فمثلما كانت هناك المعجزات، دون أن ترافقها الحياة المستقيمة، هكذا أيضًا هنا توجد دائمًا الحياة المستقيمة، دون أن ترافقها معجزات، لذا مباشرةً يعقب الخلاص هذه الحياة؛ لأنه يمكنها بمفردها أن تخلِّص أولئك الذين يملكونها.

لأجل ذلك وضع لوقا الطوباوي والكريم والعجائبي للسفر هذا العنوان: ''أعمال الرُسل''، وليس ''معجزات الرُسل''، بالرغم من أنهم قد فعلوا أيضًا معجزات. هذه المعجزات وُجِدت في أوقات معينة مضت، أما الأعمال فيجب أن يداوم عليها الذين يريدون أن يخلصوا. إذن، لأن غيرتنا لا يجب أن تكون للمعجزات، بل لأعمال الرسل، لأجل هذا وضع عنوان السفر هذا. إذن، لكي لا تقول، أو على الأفضل، لكي لا يقولوا -بغير اكتراث- عندما ندعوهم أن يتمثلوا بالرسل قائلين لهم: ''تمثَّل ببطرس، نافس بولس، كن مثل يوحنا، اتبع يعقوب''. يقولون: «لم نستطع»، ليس لدينا قوة؛ لأن أولئك أقاموا موتى، طهَّروا بُرَّصاً، عندئذٍ يفنِّد تبريرهم الوقح، فيقول: «اصمت، اغلق فمك، لم تدخلهم المعجزات إلى ملكوت السموات، بل أسلوب الحياة المستقيمة''.

إذن، تمثَّل بحياة الرُسل المستقيمة، ولن يكون لديك شيءٌ أقل من الرُسل. لأن

المعجزات لم تصنع الرُسل، بل الحياة الطاهرة. وهذه هي صفة الأيقونة الرسولية، وهوية التلاميذ. اسمع المسيح الذي أعلن هذه الخاصية، أقصد، وهو يصف أيقونة الرُسل مُظهرًا ما هي خاصية العمل الرسولي، قال الآتي: "بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ" (يو ١٣:٣٥). «بهذا»، ماذا؟ بأن تفعلوا معجزات؟ بأن تقيموا موتى؟ كلا، لكن بماذا؟ "بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ». لكن المحبة ليست نتيجة المعجزات، بل نتيجة الحياة المستقيمة. لأنه يقول: "اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَصْنَعُ شَرًّا لِلْقَرِيبِ، فَالْمَحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ" (رومية ١٣:١٠). أرأيت خاصية التلاميذ؟ أرأيت أيقونة العمل الرسولي؟ أرأيت الهيئة والشكل؟ أرأيت المكان؟ لا تطلب شيئًا أكثر. لأن الرب أوضح أن المحبة هي الصفة الشخصية للتلاميذ. إذن، إن كان لديك محبة، لَصِرتَ رسولاً، والأول بين الرُّسل.

نوال الملكوت

٤- هل تريد أن تعرف هذه الحقيقة من موضع آخر؟ لقد قالها المسيح حين تحدث إلى بطرس: "قَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ بُطْرُسَ: «يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هؤُلاَءِ؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «ارْعَ خِرَافِي»" (يو ٢١: ١٥). لا شيء يُعادل أن ننال ملكوت السموات، فقط عندما نُظهِر أننا نحب المسيح كما يجب أن تحبه. تحدث أيضًا عن الصفة، وما هي؟ وماذا نفعل لكي نحبه أكثر من الرسل؟ ربما ونحن نقيم الموتى؟ أو نحن صانعين معجزات أخرى؟ أبدًا، لكن ماذا نفعل؟ دعونا نسمع المسيح ذاته حيث يريد أن نحبه: "يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «ارْعَ غَنَمِي»" (يو ٢١:١٦). الحياة الصحيحة هنا هي الصفة المميِّزة. لأنه أن يعتني أحدٌ بالآخرين، أن يُظهِر حنوًّا وعطفاً على هؤلاء، أن يحميهم، أن لا يطلب ما يخصه، بل يكون لديه كل ما يجب أن يكون لدى الراعي، كل هذا من صفات الحياة الصحيحة، وليس من نتاج المعجزات ولا الآيات. لكن هل صار أولئك هكذا، يقول، بسبب المعجزات؟ ليس بسبب المعجزات، لكن بسبب حياتهم الصحيحة،

وقبل كل شيء صاروا، بسبب هذه الحياة المستقيمة، لا معين لهم سوى هذه الحياة. لأجل هذا يقول لهؤلاء: ''فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ'' (مت٥:١٦).

أرأيت أنه في كل مكان يظهر نور الحياة الصحيحة؟ وأن الحياة الفاضلة هي محل إعجاب؟ هل تريد أن أُظهِر لك بطرس ذاته، القمة من بين الرُّسل الذي أظهر أيضًا حياةً فاضلةً، وصنع معجزات تتجاوز الطبيعة البشرية، وكلاهما كانا موجودين بالتوازي، أي المعجزة والحياة الفاضلة، وكيف أنه كُرِّمَ بالأكثر بواسطة حياته الفاضلة عن المعجزات؟ اسمع قصته: «وَصَعِدَ بُطْرُسُ وَيُوحَنَّا مَعًا إِلَى الْهَيْكَلِ فِي سَاعَةِ الصَّلاَةِ التَّاسِعَةِ» (أع ٣:١). لا تجعل هذه الرواية تمر مرور الكرام، بل مباشرةً، قف عند المقدمة، واعرف كم كانت المحبة فيما بينهما والاتفاق والوفاق، وكيف أن هؤلاء التلاميذ دائمًا يعيشون في شركة فيما بينهم، كيف صنعوا كل شيء مرتبطاً بقيد الاتفاق مع وصايا الله، وقُدِّم الجميع معًا على المائدة، وفي الصلاة، وفي الطريق، وفي كل الأمور الأخرى.

وإذ كان لدى أولئك الأعمدة، الأبراج، جرأةٌ أمام الله، استخدم الواحد منهم معونة الآخر، وتقوّوا بالمشاركة فيما بينهم، فكم بالأكثر يجب علينا نحن الضعفاء والمعذَّبين وغير المستحقين، أن نستخدم معونة الواحد للآخر؟ ''أَيْضًا الْمُتَرَاخِي فِي عَمَلِهِ هُوَ أَخُو الْمُسْرِفِ'' (أم ١٨:٩). وأيضًا «هُوَذَا مَا أَحْسَنَ وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَسْكُنَ الإِخْوَةُ مَعًا!'' (مز ١٣٣:١). يجب أن نلتفت إلى أن يسوع كان فيما بين بطرس ويوحنا. لأنه يقول: ''لأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ'' (مت ١٨: ٢٠). أرأيت إلى أي حدٍّ ضرورة وأهمية أن نكون معاً في مكان واحد؟ لكن ليس مجرد نفس المكان، لأننا نحن جميعاً الآن في نفس المكان، لكن يجب أن نكون في المكان ذاته، برباط المحبة، وعن اختيارٍ حُرٍّ داخلي، ومثلما تتجاور أجسادنا الآن، الواحد بالقرب من الأخر، ونُوجد في نفس المكان، هكذا يجب أن تكون قلوبنا أيضاً.

«وَصَعِدَ بُطْرُسُ وَيُوحَنَّا مَعًا إِلَى الْهَيْكَلِ». انشق الحجاب، أُخليَ قُدس الأقداس

(القديم)، أُبطل السجود في مكان واحد. قال بولس الرسول: "فَأُرِيدُ أَنْ يُصَلِّيَ الرِّجَالُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، رَافِعِينَ أَيَادِيَ طَاهِرَةً، بِدُونِ غَضَبٍ وَلاَ جِدَال" (١ تيمو ٢: ٨). إذن لماذا يُسرع هؤلاء إلى الهيكل لكي يُصَلُّوا؟ هل رجعوا ثانيةً إلى الضعف اليهودي؟ دع هذا الفكر يبتعد بعيدًا! لكنهم يُظهرون تنازلاً روحياً للضعفاء، محققين قول بولس الذي يقول: "فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ" (١ كو ٩: ٢٠). يُظهرون تنازلاً روحياً للضعفاء لكي لا يظل الضعفاء على حالهم. على الجانب الآخر، هناك تجمُّع لكل المدينة. وتماماً مثلما يفتش الصيادون الماهرون في أعماق الأنهار، فيجمعون الأسماك كلها، وينجزون الصيد بسهولة، هكذا أسرعوا إلى هذا المركز، حيث تتجمع كل المدينة، حتى ينجزوا بسهولةٍ عملية الصيد، ناشرين هناك شبكة الإنجيل. وقد فعلوا ذلك متمثلين بمعلمهم. لأن المسيح يقول: "فِي تِلْكَ السَّاعَةِ قَالَ يَسُوعُ لِلْجُمُوعِ: «كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ لِتَأْخُذُونِي! كُلَّ يَوْمٍ كُنْتُ أَجْلِسُ مَعَكُمْ أُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ وَلَمْ تُمْسِكُونِي" (مت ٢٦: ٥٥). لماذا في الهيكل؟ لكي يكسبوا هؤلاء الموجودين في الهيكل. لقد صعد هؤلاء إلى الهيكل ليصلوا بالتأكيد، لكنهم في الواقع، قصدوا أن يبذروا هناك بذور التعليم.

«وَصَعِدَ بُطْرُسُ وَيُوحَنَّا مَعًا إِلَى الْهَيْكَلِ فِي سَاعَةِ الصَّلاَةِ التَّاسِعَةِ» (أع ٣: ١). لم يفضِّلوا هذه الساعة بالصدفة. لأنني قلت لكم مرات كثيرة عن هذه الساعة، أنه في هذه الساعة فُتِحَ الفردوس ودخل اللص. في هذه الساعة أُبطلت اللعنة، في هذه الساعة قُدِمت ذبيحة المسكونة، في هذه الساعة انقشع الظلام، في هذه الساعة أشرق النور، النور المحسوس والذهني. "في ساعة الصلاة التاسعة (الثلاثة مساءًا)". بعد الطعام والسُكر ينام البعض نومًا عميقًا، لكن أولئك الحكماء واليقظين، أسرعوا وبشوق حار جدًا إلى الصلاة. لكن إن كان أولئك الذين كانت لديهم جرأة عظيمة، والذين لم يروا أي شر في ذواتهم، قد احتاجوا للصلاة، صلاةً متواصلة، وكاملة جدًا، فماذا نفعل نحن، نحن المملوئين بجروح لا حصر لها، وبالرغم من ذلك لا نداويها بالصلاة؟ الصلاة هي سلامٌ عظيم. هل تريد أن تعرف كيف أن الصلاةَ هي سلاحٌ عظيم؟ لقد تجنَّب الرُسل الاهتمام بالفقراء لكي يكون لديهم

وقتٌ بالأكثر للصلاة: ”فَانْتَخِبُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ سَبْعَةَ رِجَال مِنْكُمْ، مَشْهُودًا لَهُمْ وَمَمْلُوِّينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَحِكْمَةٍ، فَنُقِيمَهُمْ عَلَى هذِهِ الْحَاجَةِ. وَأَمَّا نَحْنُ فَنُواظِبُ عَلَى الصَّلاَةِ وَخِدْمَةِ الْكَلِمَةِ“ (أع ٦: ٣ - ٤).

دعوة للسلوك الحسن

٥- لكن، ليتنا لا نتجنب القضية، أي هذا الذي قُلته بخصوص أن بطرس صنع معجزةً مع فعل الصلاة، وأنه قد مُدِحَ كثيراً جداً. إذن صعد إلى الهيكل لكي يصلي، هناك قدَّموا له مُقعَداً من بطن أمه، بالقرب من باب الهيكل. كان مرضه وشلل جسده من بطن أمه، أعظم من أي تقنية طبية؛ لكي تظهر نعمة الله في قمة درجتها.

إذن هذا المُقعَد وُجد بالقرب من باب الهيكل. وعندما رآهم يدخلان لاحظهما وطلب منهما إحسانًا. ماذا فعل إذن بطرس؟ قال له: ”انظر إلينا“. كان فقرهما بادياً من مظهرهما، لا يحتاج الأمر لكلمات ولا لبراهين ولا لردود ولا لتعليم، زينتُك تُظهر كيف أنك فقير. إذن، هذا هو كل إنجاز العمل الرسولي، لكي تقول للفقير بالرغم من أني فقير، لكن لا تنظر إلى الفقر وحده، ”سوف ترى غنى أعظم“. قال بطرس: ”لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلاَ ذَهَبٌ، وَلكِنِ الَّذِي لِي فَإِيَّاهُ أُعْطِيكَ: بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ!“ (أع ٣: ٦). أرأيت الفقر والغني؟ الفقر بالتأكيد من الأموال، لكن الغني من المواهب. إذن، فهو لم يُبطِل الفقر من الأموال، لكنه أغنى فقر الطبيعة (البشرية المريضة).

لاحظ حنو وعطف بطرس، ”انظر إلينا“. لم يعنِّفه ولم يقل له قولاً شريرًا، الأمر الذي نفعله نحن مع هؤلاء الذين نتقابل معهم (المتسولين) مرَّاتٍ كثيرة، متَّهمِين إياهم بأنهم لا يعملون. إذن، ربما أخذت هذه الوصية، أيها الإنسان؟ لم يأمرك أن تدين غيرك بخصوص البطالة، بل أن تقوِّم الفقر. لم يخلقك لكي تتهم الآخرين بالشر، بل جعلك طبيباً للنكبة، ليس لكي تدين الآخرين بالكسل، بل لكي تساعد التعساء، ليس لكي توبخ تعامُلَهم، لكن لكي تحررهم من جوعهم. لكننا نحن نفعل العكس. نتغافل عن أن نعزِّي الذين يقتربون إلينا لأجل الأموال (التسول)، بل

نعمِّق جراحهم بالأكثر، مضيفين اتهاماتنا. لكن بطرس يدافع عن الفقير، ويتحدث إليه بلطفٍ وصلاح، لأنه يقول له: «أمِل أذنك إلى المسكين وأجبه برفقٍ ووداعةٍ» (حكمة سيراخ ٤:٨). «لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلاَ ذَهَبٌ، وَلكِنِ الَّذِي لِي فَإِيَّاهُ أُعْطِيكَ: بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ!''.

يوجد هنا أمران، حياةٌ مستقيمةٌ، ومعجزة. الحياة الصحيحة هي الأقوال: ''ليس لي فضة ولا ذهب''؛ لأن خاصية الحياة الصحيحة، أن يحتقر المرءُ الأشياء الأرضية، أن يرفض الخيرات المادية، أن يحتقر المجد الباطل. ومعجزةٌ، هي أن يقوم المُقعَد، أن يُشفي الأعضاء المشلولة. ها هي إذن الحياةُ الصحيحة، والمعجزة. حسنًا، دعونا نرى بما يفتخر بطرس؟ ماذا قال؟ إنه صنع معجزات؟ بالرغم من أنه فعل معجزةً وقتذاك، لكنه لم يقل هذا، لكن ماذا قال؟ ''فَأَجَابَ بُطْرُسُ حِينَئِذٍ وَقَالَ لَهُ: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟'' (مت ١٩:٢٧). أرأيت الحياة الصحيحة والمعجزة؟ أرأيت أن الحياة الصحيحة تُتوَّج؟ حسنًا، ما الذي فعله المسيح؟ قَبِلَه وأثنى عليه: ''وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ. وَلكِنْ كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ، وَآخِرُونَ أَوَّلِينَ'' (مت ١٩: ٢٩ - ٣٠). لم يقل «أنتم الذين أقمتم الأموات»، بل: ''وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ''. ومَنْ ترك كل موجوداته (كل ما له) سوف يتمتع بهذه الكرامة.

ألا تستطيع أن تشفي وتقيم أرجلَ مُقعَدٍ مثل بطرس؟ لكن تستطيع أن تقول مثل ذاك: ''ليس لي فضة ولا ذهب''. وإذا قلت هذا تقترب من بطرس، أو على الأفضل، ليس إذا قُلت هذا، لكن إذا فعلت. لا تستطيع أن تشفي يداً مشلولةً؟ لكن يمكنك أن تجعلها تمتد بالمحبة. لأنه يقول: ''لا تستحِ أن تعترف بخطاياك ولا تغالب مجرى النهر'' (حكمة سيراخ ٤:٣١). أرأيت كيف أنه ليس الشلل، بل انعدام الإنسانية هو الذي لا يسمح بمَدِّ اليد؟ مُدَّها إذن بالمحبة للبشر وبالإحسان. إنك لا تستطيع أن تُخرِج الشيطان؟ لكن أُطرد الخطية، وسوف تأخذ أجراً عظيماً؟ أرأيت كيف يكون السلوك الحسن والإنجازات، دائماً، محلاً لثناء أعظم

من المعجزات، ومكافأة أكثر؟ وإذا أردت، سوف نظهر هذا أيضًا من موضع أخر. يقول: ''فَرَجَعَ السَّبْعُونَ بِفَرَحٍ قَائِلِينَ: «يَا رَبُّ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ!». فَقَالَ لَهُمْ: «رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ. هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَلاَ يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ. وَلكِنْ لاَ تَفْرَحُوا بِهذَا: أَنَّ الأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ، بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ'' (لو ١٠: ١٧. ٢٠). أرأيت كيف أنه دائمًا يُثني على الحياة الصحيحة؟

صفات السلوك الحسن

٦- حسنًا، دعونا نمضي لكي نُلَخِّص الأقوال التي قيلت. «بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ'' (يوحنا ١٣: ٣٥). ها هو، من حياة صحيحة. وليس من المعجزات يُظهر خاصية أنهم تلاميذه. ''قَالَ لَهُ أَيْضًا ثَانِيَةً: «يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «ارْعَ غَنَمِي»'' (يو ٢١: ١٦). تلك هي أيضًا خاصية أخرى، تنتمي أيضًا لأسلوب الحياة المستقيمة. أما ثالث خاصية ''وَلكِنْ لاَ تَفْرَحُوا بِهذَا: أَنَّ الأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ، بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ»'' (لو ١٠: ٢٠). وهذه أيضًا تُحسب على الأسلوب المستقيم للحياة. أتريد أن تعرف أيضًا البرهان الرابع؟ ''فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ'' (مت ٥: ١٦). هنا أيضًا تظهر الأعمال. وعندما يقول أيضًا: ''وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ'' (مت ١٩: ٢٩)، يثني على الأسلوب المستقيم للحياة وعلى الحياة الكاملة.

أرأيت كيف أن التلاميذ يُميَّزون بالمحبة التي لهم فيما بينهم، وأن الذي هو الأكثر من بين الرُسل، يُحب المسيح، يتميز بأنه يرعى الأخوة، وأن أولئك الذين يفرحون بأنهم يطردون الشياطين، عليهم أن يحذروا من أن يُسَرُّوا بذلك، بل يفرحوا بأن أسماءهم قد كُتبت في السماء. وأن أولئك الذين يمجّدون الله، يظهرون من بهاء ولمعان أعمالهم. وأن أولئك الذين نالوا الحياة الأبدية، وأخذوا مئة ضعف، فقد نالوا

هذه العطية من خلال (بواسطة) احتقار كل الأمور الحاضرة.

تَمَثَّل بهؤلاء، عندئذٍ تستطيع أن تصير تلميذه، وتُحسب ضمن أحباء الله، وتمجِّد الله وتتمتع بالحياة الأبدية. عالماً أن عدم قدرتك على صنع المعجزات لن يمثل بالنسبة لك أيَّ عائق في سبيل تحقيق ونوال كل الخيرات، إذا أمكنك أن تحيا الحياة الفاضلة.

لأن بطرس لم يأخذ هذا اللقب بسبب معجزات وآيات، بل بسبب غيرته ومحبته الأصيلة. لماذا سُمي هكذا؟ ليس لأنه أقام أمواتاً، ولا لأنه شفى المُقعَد، بل وَرِثَ هذا الاسم لأنه مع اعترافه، أظهر إيماناً أصيلاً: ''أَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا'' (مت ١٦: ١٨). لماذا؟ ليس لأنه صنع معجزات، بل لأنه قال: ''فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ!'' (مت ١٦: ١٦). أرأيت أنه سُمِّيَ أيضاً: بطرس، لقد أخذ لقب الأول (من بين الرسل) أو الرئاسة αρχή (بصفته هامة الرسل)، ليس من المعجزات، بل من غيرته النارية.

كنيسة أنطاكية وأسقف المدينة

ولأنني تذكَّرتُ بطرسَ، خَطَرَ على بالي بطرس أخر، هو أبونا ومعلمنا الذي خَلَفَ فضيلة ذاك، وورث كُرسيه. لأن هذا أيضًا هو امتياز مدينتنا، أن تأخذ منذ البداية معلم قمة الرُسل. ولأن المدينة، قبل كل المسكونة، تُوِّجَت بلقب مسيحيين (انظر أع ١١: ٢٦)، كان يجب على هذه المدينة أن تأخذَ راعياً لها، الأول بين الرُسل.

لكن، بالرغم من أننا أخذناه معلِّماً، لم نمسك به حتى النهاية، بل تركناه يذهب إلى مملكة روما، أو على الأفضل، نقول، تمسَّكنا به حتى النهاية؛ لأن جسد بطرس ليس لدينا بالتأكيد، لكن لدينا إيمان بطرس، كأنه بطرس؛ لأننا ونحن لدينا إيمان بطرس، لدينا بطرس ذاته. هكذا عندما نرى أيضًا المتمثِّل بذاك، نعتقد أننا نراه هو ذاته. لأن المسيح سَمَّى يوحنا إيليا، ليس لأن يوحنا كان إيليا، بل لأنه أتى بروح

وقوة إيليا (أنظر لو ١: ١٧). فكما حدث مع يوحنا، لأنه أتى بروح وقوة إيليا، سُمِّيَ إيليا، هكذا أيضًا هذا، لأنه أتى باعتراف وإيمان بطرس، فبالصواب يمكن أن يستحق أيضًا اسم هذا. لأن تماثل أسلوب الحياة، تجعل أيضًا الأسماء مشتركة. دعونا نتمنى جميعًا أن يصل هذا أيضًا إلى شيخوخة بطرس، لأن الرسول مات حقًا في سن الشيخوخة، حيث يقول: "لَمَّا كُنْتَ أَكْثَرَ حَدَاثَةً كُنْتَ تُمَنْطِقُ ذَاتَكَ وَتَمْشِي حَيْثُ تَشَاءُ. وَلَكِنْ مَتَى شِخْتَ فَإِنَّكَ تَمُدُّ يَدَيْكَ وَآخَرُ يُمَنْطِقُكَ وَيَحْمِلُكَ حَيْثُ لاَ تَشَاءُ»" (يو ٢١: ١٨).

إذن دعونا نطلب أيضًا لأجله حياةً مديدةً؛ لأن شيخوخته تجعل روحنا شبابية تزدهر بالأكثر. ونحن نتمنى أن نُحفظ دائمًا مزدهرة، بصلوات ذاك، وصلوات كثيرين. وأيضًا بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح، الذي له مع الروح القدس، المجد والقوة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور كلها آمين.

العظة الثالثة

عن أن قراءة الكتب المقدسة مفيدة، وأنها تجعل مَن يُخلِص لها غير مهزوم في أمور كثيرة. وإن لقب الرُسل هو لقبٌ لمواهب كثيرة، وأن الرُسل لديهم قوةً عظيمةً جدًا وسلطاناً أكثر من ملوك هذا العالم. وإرشاد للمستنيرين الجُدد

الفائدة العظيمة من قراءة الكتب المقدسة

١ – عندما أنقل فكري إلى ذهني الفقير، حين أكون مدعوّاً لكي أتحدث إلى جمعٍ كبير جدًا، أتراجع. لكن عندما أنظر لمدى استعدادكم ورغبتكم العارمة للسمع، أنال شجاعةً وأتقوى، وبتأهُّبٍ واستعدادٍ، أخوض جهاد التعليم. لأنكم قادرون، وبلا هوادة حين تأسرون الذهن، على أن تجعلوا هذا الجهاد أخف وزنًا من أيةِ ريشةٍ، برغبتكم واشتياقكم للسمع. ومثلما تقضي الحيوانات الشتاء القارص، مختفيةً بعمق، في الجحور، لكن عندما يحل الصيف، تترك مخابئها وتعيش في قطيع مع بقية الحيوانات، وتصرخ في معية بعضها البعض، هكذا أيضًا نفسي التي اختنقت كما في عُش إدراكي الضعيف، عندما ترى شوق محبتكم، تترك العُش وتأتي في شركة معكم، وبصورة مشتركة معكم، تفرح بالنعم الحسنة للكتب المقدسة، في المرج الروحي والإلهي، في فردوس الكتاب المقدس. لأن قراءة الكتب المقدسة حقًا، هي بستانٌ ومرجٌ روحيٌّ، وفردوسٌ للمتعة، بل هي فردوسٌ للمتعة أحسن من ذاك الفردوس.

هذا الفردوس لم يزرعه الله في الأرض، بل في نفوس الذين يؤمنون. لم يضع هذا الفردوس في عدن، ولا في الشرق محدِّدًا إياه في مكانٍ ما، بل جعله يمتد في كل مكان على الأرض، وجعله يتسع إلى أقاصي المسكونة، بأن نشر كل الكتب المقدسة

في كل أجزاء المسكونة. اسمع النبي الذي يقول: ''من أقصى السموات خروجها ومدارها إلى أقاصيها ولا شيء يختفي من حرها'' (مز ١٩:٥). فسواء انتقلتَ إلى بلاد الهند التي ترى أولاً شروق الشمس، أو وصلتَ إلى المحيط، أو إلى تلك الجُزر البريطانية، سواء أبحرتَ إلى بلاد بُنطس، أو انتقلتَ إلى الجانب الجنوبي، فسوف تسمع دائمًا الجميع يتفلسفون من الكتاب المقدس. بالطبع، بلغةٍ أخرى، لكن ليس بإيمانٍ آخر. بلغةٍ مختلفةٍ، لكن بفكرٍ مشترَكٍ. لأن صوت اللغة يتغير، لكن طريقة التقوى لا تتغير، يتحدثون بلغةٍ بربريةٍ، لكن يتفلسفون بالفكر، يتحدثون بأخطاءٍ لغويةٍ، لكن حياتهم هي حياة التقوى.

هل رأيت المدى الذي بلغ إليه طول هذا الفردوس، حيث امتد إلى أقاصي المسكونة؟ هنا لا توجد حيَّةٌ، فالمكانُ طاهرٌ من الوحوش، ومحصَّنٌ بسور نعمة الروح. يوجد فيه أيضًا نبعٌ مثل ذاك، نبعٌ هو أُمُّ الأنهار التي لا تُحصى، ليس فقط أربعة أنهار (أنظر تك ٢: ١٠ - ١٤). لأن هذا النبع لا يلد نهر تيجري τιγρη ولا الفرات، ولا نيل مصر، ولا Γάγγη غانجي الهند، بل أنهارٌ لا تُحصى. مَنْ يقول هذا؟ الله ذاته الذي منحنا هذه الأنهار: ''مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ'' (يو ٧: ٣٨).

أرأيت كيف تجري من ذلك النبع، ليس أربعةٌ فقط، بل أنهارٌ لا حصر لها؟ والأمر الجدير بالإعجاب، ليس فقط عدد الأنهار، بل طبيعة النبع؛ لأن تسبيحها ليس من الماء، بل من الروح؛ لأن هذه الأنهار هي مواهبه. هذا النبع يُوزَّع على كل نفوس المؤمنين ولا يتراجع، يتوزَّعُ ولا يُستنزَف، يفيض ولا ينقُص، هو كاملٌ بالنسبة للجميع، ولكل واحد على حدة؛ لأن مواهب الروح كثيرةٌ جدًا.

هل تريد أن تعرف وفرة مكونات النبع؟ هل تريد أن تعرف طبيعة المياه؟ هي لا تشبه المياه العادية؛ لأنها أفضل منها وأعجب؟ لكي تعرف وفرة النبع، اسمع ثانيةً المسيح الذي يقول للسامرية: ''وَلكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ'' (يو ٤: ١٤). فهو لم يقل ''يخرج'' أو ''ينسكب''، بل ''ينبع''، تلك الكلمة التي

تدل على الوفرة. فمياه الينابيع عادةً ما تتفجر وتتدفق من كل جانب. هذه الينابيع لا يمكنها أن تظل في البطون، بل تتدفق منها المياه كتيارات من الأنهار في كل مكان دون أن تستطيع هذه الينابيع أن تحتفظ بها. إذن، لكي يُظهِر وفرة الينابيع، قال: "ينبع"، وليس "يخرج".

هل تريد أن تتعرف أيضًا على طبيعة هذا الينبوع؟ هذا تعرفه من فائدته؛ لأنه ليس مفيداً للحياة الحاضرة، بل للحياة الأبدية.

إذن، دعونا نظل في هذا الفردوس. ليتنا نجلس بالقرب من الينبوع. احترسوا ألَّا يصيبنا ذاك الذي أصاب آدم، ونفقد الفردوس. ليتنا لا نقبل المشورة المهلكة، دعونا لا نقبل ضلال الشيطان. ليتنا نواظب على قراءة الكتب المقدسة. لأنه مثلما يجلسون بالقرب من الينبوع ويستمتعون بالنسيم الرطب، ويُبعدون بالمياه، صعوبة التنفس عندما يقترب الصهد، بأن يسكبوا المياه على وجوهم، وعندما يزعجهم العطش، بسهولةٍ يشفون معاناتهم هذه، آخذين بالقرب منهم، الدواء من الينبوع، هكذا الذي يجلس بالقرب من ينبوع الكتب المقدسة، فإن رأى أن لهب الشهوة غير المعقولة يزعجه، بسهولةٍ يصده مبللاً نفسه بتلك المياه، وإن كان الغضب الشديد يزعجه، إذ أحرَّ قلبه، كأنه إناءٌ فوق نيران شديدة، فإنه إذا قَطَّرَ من مياه هذا النبع، فسوف يكبح وقاحة الشهوة مباشرةً. إن قراءة الكتب المقدسة تخطف وتخلِّص النفس من كل الأفكار الشريرة، كأنها من لهيب النيران تخطفها وتنقذها.

٢- لأجل هذا، النبي، ذلك النبي العظيم داود، وهو يدرك الفائدة التي تتحصل من قراءة الكتب المقدسة، يُشبِّه ذاك الذي يواظب بإخلاصٍ على قراءة الكتب المقدسة ليأخذ منها التعليم، بالشجرة المورقة على الدوام، والمزروعة بالقرب من جداول المياه، قائلاً: "طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ. لكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلاً. فَيَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِي الْمِيَاهِ، الَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ، وَوَرَقُهَا لاَ يَذْبُلُ. وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ يَنْجَحُ» (مز ١: ١ – ٣). لأنه بقدر ما تتمتع تلك الشجرة المزروعة بالقرب من الماء الجاري الغني والموجودة بالقرب من

الجداول والوديان، بريٍّ لا ينقطع، تتحمل صامدةً، لا تغلبها أي فوضى تصنعها الرياح، ولا تخاف من أشعة الشمس عند اشتداد حرارتها، ولا تعمل حساب الهواء حين ينقلب فجأةً إلى هواءٍ جاف؛ لأن لها في داخلها مخزوناً كافياً من الرطوبة، لذا فهي تصدُّ مباشرةً وترفض بقوةٍ أيةَ حرارة تلفحها من الخارج. هكذا أيضًا النفس التي تقف بالقرب من جداول الكتب المقدسة مرتويةً منها باستمرار؛ فإنها، إذ تُجمِّع في داخلها رطوبة الروح، تجدها صامدةً في كل حالٍ، سواء أكان مرضاً أو احتقاراً أو وشايةً أو ألفاظاً بذيئةً، سواء أكانت تهكماتٍ، أو أية حماقةٍ وعدمَ تبصُّرٍ، بل حتى لو وقعت على هذه النفس كل شرور المسكونة، فإنها بسهولةٍ تَصُدُّ رياح الشهوات آخذةً عزاءً وافراً من قراءة الكتب المقدسة. لأنه لا حجم المجد، ولا حجم السيادة ولا تواجُد الأصدقاء، ولا أي شيء آخر من الأمور البشرية، يمكن أن يعزِّي ذاك الذي يتألم، بقدر ما تعزيه قراءة الكتب المقدسة. لماذا إذن؟ لأن كل الأمور التي أشرنا إليها هي أمور وقتية وفاسدة، لأجل ذلك، فالعزاء الناتج عنها يكون عزاءً فاسداً أيضاً، بينما قراءة الكتب المقدسة هي بمثابة حديث الله. فإذا كان الله هو الذي يُعزِّي المتضايق، فأيٌّ من هذه الأمور يمكنها أن تُلقيه في الضيق؟

دعونا إذن نخصص للقراءة ليس فقط ساعتين (لأنه لا يكفي لأماننا هذا السمع البسيط)، بل يجب على كل واحد منا أن يداوم، إذا أراد أن يمتلك باستمرار وبوفرة، فائدةً من الكتاب المقدس، على أن يأخذ في يديه الأسفار المقدسة، ويفحص بحرصٍ وانتباه معاني ما يقرأ. لأنه مثلما لا يقتصر تواصل تلك الشجرة التي تقف بالقرب من "جداول المياه" مع المياه لمدة ساعتين أو ثلاثة، بل طوال النهار والليل، ولذلك تجدها غنيةً في أوراقها وثمارها، حتى إن لم يسقها أحد من الناس، وذلك بسبب قربها من جداول المياه، إذ تسحب جذورها الرطوبة من مصادرها وبذلك تنقل الفائدة لكل الجسد. هكذا أيضًا هذا الذي يقرأ باستمرار الكتب المقدسة، ويتواجد بالقرب من جداولها، فإن لم يتمكن من الفهم، فإنه بالقراءة المستمرة، يأخذُ، كما من جذورٍ، الفائدةَ العظيمةَ.

لأجل هذا، ولأننا نعرف اهتماماتكم، وانزعاجاتكم وانشغالاتكم الكثيرة،

أقودكم بهدوء وتدريجيًا إلى مفاهيم الكتب المقدسة، جاعلاً ذاكرتكم -بهذا الشرح المسائي- تتذكر دائمًا هذه الأقوال. لأن المطر عندما يسقط، بسرعةٍ يغطي سطح الأرض، بينما لا يستفيد باطنها منه على الإطلاق، لكن عندما يستقر على سطح الأرض، ويتسلل تدريجيًا داخلها، كما من أوردةٍ وعروق، وكمثل زيتٍ ينزلق في العمق، يملأ أمعائها بالرطوبة، يجعلها هذا غنيةً جدًا لإنتاج الثمار. لذلك، نلقي نحن أيضاً بهدوءٍ وسكينةٍ في نفوسكم هذا المطر الروحي؛ لأنه إذا كانت الكتب المقدسة تُشبه سُحباً روحيةً، فإن الأقوال والمفاهيم تُشبه المطر، ولأجل هذا نُلقي هذا المطر الروحي ببطءٍ فيكم، لكي تتسرب هذه الأقوال إلى العمق. لذلك، فبالرغم من أننا، وعلى مدى أربعة أيام مداومين على الشرح، إلا أننا لم نستطع بعد أن ننتهي من فحص نصٍّ واحدٍ، بل مازلنا ندور حوله.

لأنه من الأفضل لنا أن نحفرَ بعمقٍ جزءاً واحداً صغيراً، فنحصل على كنزٍ عظيمٍ يحتوي على الكثير من الأشياء الهامة، عن أن نحرث مساحات كبيرة، فنُتعِب أنفسنا دون داعٍ، وبلا هدفٍ وعبثًا. وبالرغم من أنني أعرف أن كثيرين يمتعضون من هذا التباطؤ لكني لا أبالي بشكواهم، بل ما يهمني هو فائدتكم. فالذين يستطيعون أن يسيروا بسرعة، ليتهم ينتظرون المتباطئين من إخوتهم؛ لأن أولئك يستطيعون انتظار هؤلاء. لأن الضعفاء بالأكثر ليسوا في وضعٍ يمكِّنهم من أن يصلوا إلى أولئك. لأجل هذا يقول بولس، إنه لا يجب أن نجبر -قبل الأوان- الضعفاء على الإيمان، أي في اللحظة التي لا يستطيعون فيها أن يصلوا إلى كمال الأقوياء، لكننا نحن الأقوياء، يجب أن نمنع ضعفات الضعفاء. يهمني فائدتكم، ولا أفعل ذلك بتكلُّفٍ، لأجل هذا متباطئٌ أنا في شرح المفاهيم.

السلطان الرسولي هو الأعظم

٣- حسنًا، في اليوم الأول عندما قرأت لكم العنوان المكتوب على المذبح، قُلت لكم إنه لا يجب أن نتجاوز برعونةٍ العناوين المكتوبة، وقد أظهرت لكم حكمة بولس الذي نقل إلى كتيبته، الجندي الأجنبي الذي كان يقف في مصاف الأعداء، على هذا الأمر أنهيت كل تعليم اليوم الأول. في اليوم الثاني تساءلنا عمَنْ هو كاتب

السفر، ووجدنا بنعمة الله أنه الإنجيلي لوقا، وقدَّمت لكم المسألة ببراهين كثيرة، براهين واضحة، وأخرى عميقة. أعرف بالطبع أن الأقوال الأخيرة لم يتابعها كثيرون من السامعين، لكني لن أتوقف عن أن أفحص المفاهيم بالتفصيل. لأن المفاهيم الأكثر وضوحًا سوف تكون مفيدةً للبسطاء، أما الأكثر عمقًا، فلهؤلاء الذين يدركون الأمور بأكثر سهولة؛ لأن المائدة يجب أن تكون متنوعة ومختلفة، طالما أن رغبات المدعوين مختلفة أيضاً.

إذن، في اليوم الأول تحدثنا عن العنوان المكتوب، وفي اليوم الثاني عن كاتب السفر، وفي اليوم الثالث عن هؤلاء الذين جاءوا وحضروا اجتماعنا، ثم تحدثنا عن بداية العنوان وأوضحناه، وأوضحنا كذلك ما هو المقصود بالعمل، وما هي المعجزة، وما هو الأسلوب الصحيح للحياة، وما هي علامة الوحش والقوة، وأوجه اختلاف الواحد (العمل) عن الآخر (المعجزة)، وكيف يمكن للواحد أن يكون عظيماً، بينما يكون الآخر مفيداً جدًا، وكيف يصير الواحد بمفرده مسبباً لملكوت السموات، بينما الآخر، إن لم يكن لديه معونة من العمل، يُطرد من أعتاب الملكوت. اليوم من الضروري أن نتكلم عن بقية العنوان المكتوب، ونُبين في النهاية ماذا يعني اسم «الرُسل». لأن هذا الاسم ليس بسيطاً، بل هو تسمية السيادة، وهي سيادة عظيمة جداً، سيادة روحية جدًا، سيادة سماوية.

انتبه إذن كثيرًا جدًا. في أمور الدنيا توجد سلاطين كثيرة، لكنها ليست كلها في ذات القيمة، إذ هناك سيادات عظيمة جداً، وأخرى أقل عظمةٍ. وإذا أردنا أن نحصي من الأدنى إلى الأعلى، فسوف نجد مفوض للمدينة، ومن هو أعلى منه، حاكم الأمة، يوجد بعده رئيسٌ كبير آخر، يوجد أيضًا الماريشال، كذلك يوجد الأعظم من هذه السيادات، وكل هذه الرتب هي رتب سيادية، لكن الجميع ليسوا على ذات القيمة. ومثلما توجد في الأمور الدنيوية سلاطين كثيرة، هكذا أيضًا في الأمور الروحية توجد سيادات مختلفة، لكن ليست كلها على ذات القيمة. والأعظم من الكل هي السيادة الخاصة بالعمل الرسولي. ولأنه يجب أن أقودكم من الأمور الحسية إلى الذهنية، هكذا فعل المسيح أيضاً، فبينما يتحدث عن الروح القدس، ذكر الماء: "أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضًا.

وَلكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (يو ١٣: ٤ - ١٤). هل رأيت إنه يقود المرأة من الأمور الحسية إلى الذهنية؟ هذا أيضاً ما نصنعه، من الأمور السُفلى نصعد تجاه العُليا، لكي يصير الحديث أكثر وضوحًا. لأجل هذا عندما نتحدث عن السيادة، لا نذكر السيادة الروحية أولاً، لكن المحسوسة، لكي نقودكم منها إلى تلك.

هل سمعتم كمّ السيادات الدنيوية، وكيف أن بعضها هي الأكبر والأخرى هي الأصغر، وكيف أن السيادة العليا توجد فوق الكل، كأنها القمة والرأس. دعونا نرى أيضًا كم السيادات الروحية: توجد سيادة روحية، وهناك سيادة النبوة، توجد سيادة البشارة، وتوجد سيادة للرعاية، وأخرى للتعليم، توجد كذلك سيادة للمواهب، كما توجد سيادة للأشفية، وكذلك أيضًا لترجمة اللغات، الألسنة. كل هذه التسميات هي ألقابٌ لمواهب، وهي أيضاً أمور خاصة بالرئاسات والسلاطين، النبي هو رئيس، وبالنسبة لنا، مَنْ يطرد الشياطين هو رئيسٌ روحي. لكن الأعظم في كل هؤلاء هو السلطان الرسولي، مِن أين يتضح ذلك؟ من أن الرسول يأتي على رأس كل هؤلاء وقبلهم. فعلى غرار المستوى الأعلى في السيادات الدنيوية، هكذا يكون للرسول في السيادات الروحية، المكانة الأولى. دعونا نسمع الرسول ذاته الذي عَدَّد السيادات، ووضع الرسولية في المكانة الأعلى. ماذا إذن يقول؟: «فَوَضَعَ اللهُ أُنَاساً فِي الْكَنِيسَةِ: أَوَّلاً رُسُلاً ثَانِياً أَنْبِيَاءَ ثَالِثاً مُعَلِّمِينَ ثُمَّ قُوَّاتٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ أَعْوَاناً تَدَابِيرَ وَأَنْوَاعَ أَلْسِنَةٍ» (١ كور ١٢: ٢٨).

أرأيت قمة السيادات؟ رأيت كيف أن الرسول يجلس عاليًا وأنه لا يوجد أحد قبله، ولا فوقه؟ لأن الرسل يوضعون في المكانة الأولى، وفي المكانة الثانية الأنبياء، في الثالثة المعلمون والرُعاة، ثم المواهب الشفائية، ثم مانحو المساعدة، المدبرين، أنواع التكلم بألسنة. والسلطان الرسولي ليس فقط يرأس السيادات الأخرى، بل أيضًا هو القاعدة والجذر. ومثلما تكون الرأس في المستوى الأعلى من أي عضو آخر، وأنها ليست فقط بداية أو رئاسة الجسد، فهي أيضاً الجذر؛ (لأن الأعضاء التي تدير الجسد تُولد من الرأس، وتنبت من الرأس ذاته، وتقبل معونة الروح، وهكذا

تقود الرأس كل المنظومة)، هكذا أيضًا السلطان الرسولي، فهو ليس أعلى من بقية المواهب فقط، كبداية أو أصل السيادة، بل هو يتضمن داخله أيضًا جذور كل المواهب. وإذا كان النبي لا يستطيع أن يكون رسولاً ونبياً، فإن الرسول يكون نبياً على أية حال، إضافةً إلى ذلك، فالرسول لديه أيضاً مواهب شفاء وأنواع مختلفة من التكلم بألسنة، ومواهب تفسير اللغة؛ لأجل هذا هو بداية وأصل وجذر المواهب.

موهبة التكلم بألسنة

٤- وتدليلاً على صحة ما قلناه، سوف أقدم لكم بولس شاهداً. لكننا نحتاج أولاً إلى توضيح المقصود بأنواع اللغات. ما هي إذن أنواع اللغات؟ في العصر القديم كان كل من يؤمن ويعتمد، يتحدث مباشرةً بلغاتٍ مختلفة لإظهار الروح القدس. حيث إن الناس في هذا الوقت كانوا في حالةٍ روحيةٍ ضعيفةٍ جداً، ولم يتمكنوا من أن يروا بعيون الجسد المواهب الروحية؛ لذا أُعطُوا موهبةً حسيَّةً حتى يصير العنصر الروحي واضحاً. فمَنْ يُعَمَد كان يستطيع مباشرةً أن يتحدث بلغتنا، وبلغة الفُرس والهنود والسيكيثيين؛ لكي يعلم غير المؤمنين كيف أنه كان جديراً بأن ينال الروح القدس. فكان هذا الصوت (اللغة) بمثابة علامة محسوسةٍ؛ لأنهم سمعوه بحاسَّة الجسد. فنعمة الروح العقلية وغير المنظورة، صارت علامةً حسيَّةً واضحةً وضوحًا كلياً. هذه العلامة تُسمى ''أنواع الألسنة''. لأن ذاك الذي كان لديه لسانٌ واحدٌ، بنعمة الروح، كان يتحدث بألسنةٍ متنوعة ومختلفة. وكان من الممكن أن يرى المرء إنساناً واحداً بالعدد، لكن لديه مواهبَ متنوعةً وأفواهاً مختلفة، وألسنةً مختلفة.

إذن، دعونا نرى كيف أن بولس الرسول كان لديه أيضًا هذه الموهبة، وليس تلك فقط، بل أيضًا كل المواهب الأخرى. فبالنسبة لهذه الموهبة يقول الآتي: ''أَشْكُرُ إِلهِي أَنِّي أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةٍ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِكُمْ'' (١ كو ١٤: ١٨). أرأيت كيف أنه كانت له موهبة الألسنة، وليس فقط كانت لديه، بل وأكثر من كل المؤمنين الآخرين؟ لأنه لم يقل عندي موهبة الألسنة فقط، بل أكثر من جميعكم. كما أظهر أيضًا موهبة النبوة حين قال: ''وَلكِنَّ الرُّوحَ يَقُولُ صَرِيحًا: إِنَّهُ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ الإِيمَانِ، تَابِعِينَ أَرْوَاحًا مُضِلَّةً وَتَعَالِيمَ شَيَاطِينَ'' (١ تيمو ٤: ١). وأن يقول بولس

هذه الأمور التي سوف تحدث في الأيام الأخيرة، يعني أن ما يقوله هذا هو بمثابة نبوة. وأيضًا: ’’وَلكِنِ اعْلَمْ هذَا أَنَّهُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ سَتَأْتِي أَزْمِنَةٌ صَعْبَةٌ‘‘ (٢ تيمو ٣: ١). وكذلك «فَإِنَّنَا نَقُولُ لَكُمْ هذَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ: إِنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ، لاَ نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ» (١ تس ٤: ١٥). وهذه أيضًا نبوة. أرأيت أنه كانت لديه موهبة الألسنة والنبوة؟

هل تريد أن تعلم كيف أن لديه أيضًا مواهب شفاء؟ لكن، ربما لا يحتاج هذا إلى برهان من الأقوال، بل يكفي أن نرى أنه ليس فقط الرسل كان لديهم هذه المواهب، بل أيضًا ملابسهم. أما كونه كان معلماً للأمم، فهذا ما يقوله في مواضع كثيرة، وإنه كان يساعد كل المسكونة وكان يقود الكنائس. إذن عندما تسمع أولاً: الرسل، ثانيًا: الأنبياء، ثالثًا: الرعاة والمعلمين، مواهب شفاء، أفكار، تدبيرات، أنواع ألسنة، فاعلم أن كل المواهب الباقية تندرج تحت السلطان الرسولي، باعتباره هو الرأس.

ها أنتم الآن تعرفون المعنى العميق لاسم «الرسل». وقد قلنا هذه الأمور ليس لكي نُظهر بلاغتنا، لأن هذه الأقوال لا تخصنا نحن، بل هي نعمة الروح التي تُحفِّز خمول الناس غير المبالين، حتى لا يمرُّون على المكتوب مرور الكرام.

إذن، بالصواب نُسمي السلطان الرسولي، بالسيادة الروحية. لأن الرُسل هم رؤساء رُسموا من الله، رؤساء لم يأخذوا أمةً ومدناً مختلفةً، بل أخذوا على عاتقتهم الجميع، بشكل عام، المسكونة. وأنهم رؤساء روحيون، وهذا ما سوف أحاول بيانه لكي تعلموا بعد هذا الإيضاح أن الرسل هم أسمى جدًا من رؤساء هذا العالم، حتى أن الفرق بينهما كالفرق بين الرؤساء الحقيقيين، وبين الأطفال الذين، إذ يمزحون، يلعبون دور الرؤساء. لأن هذا السلطان هو أعظم جدًا من السلطان الدنيوي، وهذا السلطان يمتد إلى تفاصيل حياتنا بالأكثر جدًا، وعندما يُنزع، فكل شيء يُدَّمر ويَحُلْ.

إذن، ما هو رمز السلطان، وما هي السلطات التي يجب أن تتوفر للرئيس؟ سلطان القيد. فحتى يكون أحدهم سيدًا للآخرين، فإنه يقيِّدُ الواحد ويحلُّ الآخر، يحرر البعض، والبعض يسجنهم. وباعتباره سيداً، يقرض ديوناً ماليةً، ولكنه يحرر

البعض بالرغم من أنهم مديونون، بينما يأمر آخرين بأن يردوا الديون. للرئيس أيضًا سلطانٌ بأن يحكم بالموت، وبأن يُبطل حكم الموت. وإن كان من الأفضل أن نقول إن هذا الأمر، لا ينتمي لسلطان الرئيس، بل ينتمي لسلطان الملك فقط، بل إن هذه العطية على الأغلب، لا تنتمي بالكامل للملك؛ لأنه لا يمكنه أن ينجي الميت من الموت، لكن فقط يمكن أن ينجّيه من الاقتراب من الموت، لأنه يستطيع أن يلغي قراره، لكنه لا يستطيع أن يُبطل الموت، هو بالطبع لديه الأسوأ، لكنه قد يقرر الأحسن. كذلك يمكننا أن نعرف الرئيس من الحزام، من صوت المذيع، من الصولجانات، من العربة، من السيف؛ لأن كل هذا هو رمزٌ للسلطان.

إذا كان الأمر كذلك، دعونا نرى سلطان الرسل، وما إذا كان لهذا السلطان، رموزٌ. بالتأكيد لسلطان الرسل رموزٌ، لكنها ليست مثل هذه الرموز التي ذكرناها، بل هي رموزٌ لحقيقةٍ أفضل بكثير. ولكي تعلم أن الرموز التي ذكرناها هي مجرد أسماء لأمور وظيفية في العالم، وأن تلك الروحية، إنما تدل على أمور حقيقية، حتى أن الاختلاف فيما بينهما يتسع بقدر ما يختلف الأطفال الذين يلعبون دور الرؤساء عن الرؤساء الحقيقيين. إذا أردتم، سوف نبدأ بما أدرجناه أولاً، أي من الحبس أو القيد. لأننا قلنا إن الرئيس باعتباره سيداً له أن يقيّد أحداً، وأن يحله، لذا انتبه كيف أن الرسل لديهم ذات السلطان، لأنه يقول: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ» (مت ١٨:١٨). إذن، لديهم سلطان الحبس، ولكنه حبسٌ من نوعٍ آخر، فالاسم لفظياً هو ذاته مثل الحبس الدنيوي، لكن المفهوم ليس هو ذاته. وإنه وإن كانت هذه القيود تقيّد أيضًا مثل القيود الدنيوية، لكن القيود الدنيوية، هي في الأرض، أما القيود الثانية، فهي في السماء. لأن السماء هي لهؤلاء محبسٌ.

أيضاً، انتبه إلى حجم السلطان. لقد كانوا موجودين على الأرض ويقررون، لكن قوة قراراهم كانت تعبر إلى السموات. ومثلما كان الملوك يُقيمون في مدينةٍ، يقررون ويشرّعون، وكانت قوة قراراتهم وقوانينهم تعبر إلى كل مدن الدولة، هكذا أيضًا الرسل، فبينما هم مقيمون في مكانٍ يشرّعون، لا تعبر قوة قوانينهم وقيودهم فقط

إلى كل المسكونة، بل تصل أيضًا إلى علو السموات. هل رأيت الفرق بين محبسٍ، ومحبسٍ آخر؟ الواحد في الأرض والآخر في السماء، الواحد لأجل الأجساد، والأخر للنفوس، وإن كان من الأفضل أن نقول إنه للنفوس والأجساد؛ لأن الرسل لم يقيِّدوا فقط أجساداً، بل ونفوساً أيضًا.

٥- هل تريد أن تعرف كيف كانوا أسياداً يُحررون أيضًا من الديون؟ هنا سوف ترى اختلافاً كبيراً؛ لأنهم لم يمنحوا الحرية للمدينين بالأموال، بل للمدينين بالخطايا. لأنه لهؤلاء يقول: ”مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ“ (يو ٢٠: ٢٣). بعد هذا يجب أن نعرف أنهم إلى الموت أرسلوا أُناساً، ومن الموت استعادوا البعض، ليس فقط من قرار الموت ومن اقتراب البعض منه، لكنهم أقاموا أُناساً من الموت، ونحن نقصد أولئك الذين ماتوا بالفعل، وقد فسدت جثتهم؟ أين إذن حكموا؟ وأين حرروا من الموت؟

حنانيا وسفيرة وقعا في التدليس. بالرغم من أنهما سرقا من أموالهما الخاصة بهما، لكن جُرأتهما كانت بمثابة تدليسٍ؛ لأنه بعد الوعد بالعطاء لم تعد الأموال تخصهما بعد. ماذا فعل بطرس؟ اسمع، كأنه جالسٌ في محكمة، أَدخَلَ المُدلِّسَ، وكأنه قاضٍ وجَّه له سؤالاً وبعدها أصدر قراراً. لم يُصدر القرار قبل السؤال، بالرغم من أن الخطية كانت واضحة، لكن لكي يقنعنا نحن الذين نقف بالخارج، بأن القرار صائبٌ، لأجل هذا سأل قائلاً الآتي: «يَا حَنَانِيَّا، لِمَاذَا مَلأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلِسَ مِنْ ثَمَنِ الْحَقْلِ؟ أَلَيْسَ وَهُوَ بَاق كَانَ يَبْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بِيعَ، أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ؟ فَمَا بَالُكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هذَا الأَمْرَ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللهِ» (أع ٥: ٣ – ٤). إذن ماذا جرى لذاك عندما سَمِعَ هذه الأقوال؟ وقع على الأرض ومات.

أرأيت كيف أن الرُسل كان لديهم أيضًا سيفٌ؟ عندما تسمع بولس يقول: ”وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ“ (أف ٦:١٧)، تذَكّر هنا القرار الذي تكلمنا عنه تواً، أي أنه بدون أن يكون هناك سيفٌ، سَقَطَ المُدَلِّسُ على الأرض حين تلقى ضربةً بكلمةٍ. أرأيت سيفاً غير مصقولٍ ومجرَّدٍ؟ ليس من

حديد ولا مقبضَ له، أو يداً، بل في مكانِ اليدِ اللسانُ الذي أصدر بدلاً من السيف حكماً، ومباشرةً ذَبَحَهُ. بعد ذلك دخلت امرأته وأرادت أن تُعطي للمحكمة حُجةً للدفاع، ولكن بدافع المسامحة، سأل: ''فَأَجَابَهَا بُطْرُسُ: «قُولِي لِي: أَبِهذَا الْمِقْدَارِ بِعْتُمَا الْحَقْلَ؟» فَقَالَتْ: «نَعَمْ، بِهذَا الْمِقْدَارِ» (أع ٥:٨). فبالرغم من أنه يعرف أنهما ليس بهذا المبلغ باعا ما كان يخصهما، إلَّا أنه لكي يقودها بالسؤال إلى التوبة، لكي يحكم على الأخطاء ويمنحها الغفران، لأجل هذا سأل. لكنها تصرَّفت بقبحٍ. ولذلك كان لها نفس عقاب زوجها.

أرأيت قوة المحكمة؟ أرأيت كيف أن الأسياد يُرسِلون إلى الموت؟ دعونا نرى أيضًا ما هو أفضل، أي كيف يستدعون ثانيةً من الموت. التلميذة طابيثا التي كانت تفعل إحساناتٍ كثيرةً، ماتت، فأسرعوا مباشرةً إلى الرُسل. لأنهم كانوا يعرفون أنهم كان لديهم سلطان الموت والحياة، كانوا يعرفون أن السلطان السماوي قد نزل على الأرض. ماذا فعل بطرس عندما أتى؟ قال: ''يَا طَابِيثَا، قُومِي!» فَفَتَحَتْ عَيْنَيْهَا. وَلَمَّا أَبْصَرَتْ بُطْرُسَ جَلَسَتْ» (أع ٩:٤٠). لم يحتاج إلى أية محاولة، ولا إلى خُدام ولا مساعدين، بل كان قوله كافياً للقيامة. لقد سَمِعَ الموتُ الصوتَ، ولم يستطِع أن يحتفظ بالميت. هل رأيت قوة أصوات هؤلاء القُضاة؟ إن أصوات القضاة الدنيويين عاجزةٌ، لا حول لها ولا قوة؛ لأنه حتى لو أصدر أحد القضاة الدنيويين قرارًا، لم يسمعه المنفِّذ، فالقرار لن يُنفَّذ. لكن هنا ليست هناك حاجةٌ إلى معاونين، بل عندما قال، مباشرةً صَارَ.

أرأيت محكمة الرُسل التي هي رمزٌ للسلطان؟ أرأيت كيف أنهم يغفروا الخطايا، كيف أنهم يُبطلون الموت، كيف يُحضرون ثانيةً الموتى إلى الحياة؟ أتريد أن تعرف أيضًا ما هو حزامهم؟ لقد أرسلهم المسيح حقاً ممنطقين أحقاءهم ليس بجلد، بل بالحق. هذا الحزام هو حزامٌ مقدسٌ وروحيٌ. لأجل هذا يقول: «فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ'' (أف ٦:١٤). ولأن سلطانهم سلطانٌ روحيٌّ، فلا تطلبن شيئًا محسوساً (مادياً): ''بِمَلاَبِسَ مُطَرَّزَةٍ تُحْضَرُ إِلَى الْمَلِكِ. فِي إِثْرِهَا عَذَارَى صَاحِبَاتُهَا. مُقَدَّمَاتٌ إِلَيْكَ'' (مز ٤٥:١٤).

هل تريد أن ترى أيضًا العاملين بالحكمة؟ العاملون بالحكمة الدنيوية هم أولئك الذين يجلدون المذنبين، الذين يضربونهم، الذين يطعنونهم، يعذبونهم، يعاقبونهم. أتريد إذن أن ترى الرُسل؟ ليس لديهم أناسٌ، بل إبليس ذاته والشياطين، لأن هؤلاء الرسل الذين هم من جسد ولحم تخدمهم القوات غير الجسدية. اسمع كيف بسلطانٍ، يأمر بولس أولئك، لأنه كتب عن ذلك الذي سقط في الزنى قائلاً: ''أَنْ يُسَلَّمَ مِثْلُ هذَا لِلشَّيْطَانِ لِهَلاَكِ الْجَسَدِ، لِكَيْ تَخْلُصَ الرُّوحُ فِي يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ'' (١كو ٥:٥). أيضًا حكم بذات الحكم على آخرين كانوا قد جدفوا: ''الَّذِينَ مِنْهُمْ هِيمِينَايُسُ وَالإِسْكَنْدَرُ، اللَّذَانِ أَسْلَمْتُهُمَا لِلشَّيْطَانِ لِكَيْ يُؤَدَّبَا حَتَّى لاَ يُجَدِّفَا'' (١تيمو ١:٢٠).

ماذا يبقى إذن للبرهنة؟ هل بأنهم كانوا يملكون مركبات؟ لن نُحرَم من هذا البرهان. لأن فيلبس الذي كان ينبغي له أن يرجع بعد أن عَمَّدَ الخصي الحبشي، وقاده إلى الأسرار المقدسة، اختطفه الروح القدس، ومن البرية أحضره إلى أشدود (أنظر أع ٨: ٣٩ – ٤٠). هل رأيت مركبةً بأجنحة؟ هل رأيت أحصنةً أسرع جدًا من الريح؟ ثانيةً، كان يجب أن يصعد الرسولُ إلى الفردوس، وهي مسافةٌ طويلةٌ جدًا وغير محدودة. ولكنه أُختُطِف فجأةً ونُقِلَ إلى هناك بدون تعبٍ وفي لحظةٍ واحدة (أنظر كو ١٢ :٢). تلك كانت مركباتهم؛ لأن صوت الكارز جديرٌ بالسلطان. لأنه لم يسبق أن نادى إنسانٌ قبل هؤلاءَ الرسلِ بنعمة الروح. والبرهنةُ بالمعجزات أحدثت دوياً أقوى وألمع من أي بوق. هكذا كان الطريق دائماً مهيَّأً أمامهم. ومثلما يُعتبرُ الرؤساء مهمين جدًا، والمواطنون لا يتجرَّأون بدون سبب على أن يقتربوا منهم، هكذا أيضًا صار مع الرُسل: ''وَأَمَّا الآخَرُونَ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَجْسُرُ أَنْ يَلْتَصِقَ بِهِمْ، لكِنْ كَانَ الشَّعْبُ يُعَظِّمُهُمْ'' (أع ٥ :١٣). أرأيت قوة الحكمة، والقدرة على غفران الخطايا، أرأيت أيضًا أن سيفاً كان لديهم، وكيف أن صوتاً كان يسبق هؤلاء، صوتٌ أكثر لمعانًا من أي بوق، وكأنهم يسيرون في موكبٍ رسمي؟

نصائح إلى المستنيرين الجُدُد

٦- أريد الآن أن أُظهر لكم أيضًا كل إنجازاتهم وكم أفادوا المسكونة. لأن طبيعة الرؤساء، لا أن يتمتعوا بالكرامة فقط، بل أن يُظهِروا للمواطنين الاهتمام والحماية الكبيرة. ولكن لأن ما قلناه كان أكثر مما يجب، لذا نؤجِّل الحديث عن هذا الأمر لعظةٍ أخرى، ونحوِّل الآن حديثنا إلى إرشادٍ للمستنيرين الجدد، دون أن يعتقد أحدٌ أن تأجيلنا للحديث عن المستنيرين الجدد كان غير سليم؛ لأننا قلنا في العظة السابقة إنه ليس فقط بعد عشرة وعشرين يوماً، بل أيضاً بعد عشرة أعوام وعشرين عاماً، يمكن أن ندعو الذين سبق لهم أن تعمدوا بالمستنيرين الجدد، شرط أن يكونوا في يقظةٍ دائمة. إذن ما هي نصيحتنا الممتازة لهم؟ أن نذكِّرهم بكيفية ولادتهم، الولادة الأولى والولادة الثانية، أي الطبيعية والروحية، وكيف تختلف كل ولادة عن الأخرى. على أنه من الأفضل ألا يعرفوا ذلك منا، فسوف يتحدث إليهم ابن الرعد نفسه، يوحنا المحبوب للمسيح. إذن ماذا يقول؟: «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (يو ١:١٢). ثم بعد ذلك نُذَكِّر هؤلاء بالولادة الأولى، ونقدِّم بعد المقارنة، كم هي مقدسةٌ الحالة الحاضرة للنعمة، حيث يقول الآتي: ''اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُل، بَلْ مِنَ اللهِ'' (يو ١:١٣). فبكلمةٍ واحدة، أو بقولٍ واحدٍ أظهر أصلهم النبيل.

يا للطلقات النقية! يا للأمهات الروحية! يا للولادات الجديدة! بدون أُمٍّ صار الحبل، بدون بطنٍ صارت الولادة، بدون جسدٍ صارت الولادة، ولادة روحية، ولادة من نعمة ومحبة الله، ولادة مملوءة سروراً ونعمةً. لكن الولادة الأولى لم تكن مثل هذه، بل بدأت بالبكاء؛ لأن الطفلَ، بدموعٍ يُصدر الصوت الأول. ولأن الطفل عندما ينزلق من بطن أمه وينزل، يُصدر بدموعٍ الصوت الأول، هكذا يقول أحدهم: ''يا بني لا تزرع في خطوطِ الإثمَ لئلا تحصد ما زرعت سبعة أضعاف'' (حكمة سيراخ ٧:٣). أي أنه إذا كان الدخول في الحياة يصير ببكاء، يكون الانطلاق أيضاً بالدموع، وهكذا تعلن الطبيعة مسبقًا ألم المستقبل. لماذا يبكي الطفل عندما يأتي إلى النور؟ لأجل السبب الآتي، قبل الخطية قال الله: ''وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ

وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ» (تك ١:٢٨). هذا كان برهاناً لبركةٍ، لكنه عندما قال: "وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ» (تك ٣:١٦)، فقد كان ذلك إظهاراً لعقاب، تلك الكلمات قالها بعد الخطية. وعلى ذلك ليس فقط دموعٌ أثناء الولادة، بل أيضًا أقمطةٌ وقيود، دموعٌ أثناء الولادة، دموعٌ أثناء الموت، أقمطةٌ ولفائفُ في الولادة، وأقمطةٌ ولفائفُ في الموت، كل ذلك يُوجّه المولود إلى تلك النهاية.

لكن هذه الولادة (الثانية الروحية)، ليست هكذا، فلا دموع ولا أقمطة، بل المولودُ حُرٌّ ومتأهِّبٌ للمنافسة. ولذلك تجد أرجله حرةً ويديه حُرةً لكي يجري ويصارع، لا بكاء ولا دموع هنا، بل قُبلات وأحباء وأحضان للإخوة الذين يتعرفون على أعضائهم، حيث يقبّلونهم كما لو أنهم أتوا من أماكن بعيدة. لأنه قبل الاستنارة كان عدواً وبعد الاستنارة صار محباً لربنا جميعنا. لأجل هذا أيضًا نُسمي القُبلة قُبلة السلامة، لكي نتعلم أن الله أبطل الحروب وأعاد البشر ثانيةً إلى المصالحة مع ذاته. هذه هي المصالحة، ليتنا نحافظ عليها باستمرار. هذا هو السلام، دعونا نحرص عليه. هذه هي المحبة، ليتنا نجعلها تمتد لكي نحصل على المظال الأبدية، الذي له وبواسطته ومعه إلى الآب والروح القدس المُحيي المجد والكرامة والقوة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.



العظة الرابعة

خطورة صمت المستمعين عن التحدث بما سمعوا في الكنيسة.
وما هو سبب قراءة سفر أعمال الرسل في فترة الخمسين.
ولماذا لم يظهر المسيح للجميع حين قام؟
وكيف صارت معجزات الرسل برهاناً أكثر وضوحاً
على القيامة أكثر من ظهوره هو بنفسه؟

الغنى والفقر

١ - الواجب الذي فرضه علينا عنوان سفر "أعمال الرسل"، أتممنا الجزء الأكبر منه، لكن بقى جزءٌ صغير شرعتُ أن أتممه اليوم. وإذا كنتم قد حفظتم بدقة ما قلته وأمسكتم به باهتمام كبير، فسوف تعرفون أنتم الذين قبلتم الأموال أنكم سوف تعطون عنها حساباً أمام الرب في ذلك اليوم. لأنه حينذاك سوف يُدعى كل الذين أخذوا وزنات وكانوا مسئولين عنها؛ لأن المسيح سوف يأتي، ويطلب من الصيارفة هذه الأموال مع فوائدها: «فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَضَعَ فِضَّتِي عِنْدَ الصَّيَارِفَةِ، فَعِنْدَ مَجِيئِي كُنْتُ آخُذُ الَّذِي لِي مَعَ رِبًا» (مت ٢٥: ٢٧).

يا لعظمة محبة الله التي لا تُوصف! لأنه بالرغم من أنه يمنع الناس من طلب فوائد، إلا أنه هو ذاته يطلبها! لماذا؟ لأن تلك الفائدة (التي يمنعها) هي بمثابة الربا الجدير باللوم، بينما هذه الفائدة (التي يطلبها المسيح) خليقةٌ بكل ثناءٍ ومقبولةٌ جدًا. إذن تلك الفائدة (الربا)، أقصد التي نجنيها من الأموال، تضر مَنْ يأخذها ومَنْ يعطيها. فالذي يأخذها يدمر بها نفسه، والذي يعطيها يفاقم بها فقره. حسنًا، ما هو أكثر سوأً من أن يتاجر أحدٌ بفقر أخيه في الإنسانية ويتداول مصائب الأخوة؟ عندما يختفي أحدٌ خلف قناع المحبة، يظهر كل ما هو غير إنساني، وبالرغم من أنه يجب عليه أن يَمُدَّ يَدْ المساعدة للمحتاج، يدفعه إلى المقصلة! ماذا تفعل أيها الإنسان؟

لم يأتِ الفقير ببابك لكي تزيد فقره، بل لكي تزيل فقره. لكنك تفعل نفس الأمر الذي يفعله أولئك الذين يخلطون الأطعمة بالأدوية السامة، فهم -بغير إحساسٍ- يرتكبون خيانةً. أما الذين -تحت ستار المحبة- يخفون الأثر المدمر للفوائد، لا يتركون من يشربون هذا الدواء المميت، يدركون الضرر المحدق بهم.

لذلك نجدها فرصةً مناسبةً أن نطبّق ما قيل عن الخطية على المرابين والمقترضين على السواء. ماذا قيل عن الخطية؟ يقول: ''لأَنَّ شَفَتَيِ الْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ تَقْطُرَانِ عَسَلاً وَحَنَكُهَا أَنْعَمُ مِنَ الزَّيْتِ. لَكِنَّ عَاقِبَتَهَا مُرَّةٌ كَالأَفْسَنْتِينِ. حَادَّةٌ كَسَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ» (أم ٥: ٣ - ٥) حسنًا، هذا هو ما يحدث أيضًا للمقترضين. لأن المحتاج عندما يأخذ أموالاً، إنما يأخذ عزاءً مؤقتًا وضئيلاً جدًا، لكن بعد ذلك عندما تزداد الفوائد ويصير الثِّقَل (الحِمل) أكبر من مقدرته، فإذا أُجبرَ على أن يفقد -في لحظةٍ- كل ما يملكه، عندئذٍ يصير ذاك الحلو الذي حَلَّى حلقه، أمَرَّ من المرارة ومسنوناً أكثر من حافة السكين.

الكلام الإلهي يُشبه الأموال

٢- دعونا ننقل مجال الحديث من الماديات إلى الروحيات. يقول، داعيًا إياكم صيارفة أنتم السامعون لهذه الأقوال: ''كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَضَعَ فِضَّتِي عِنْدَ الصَّيَارِفَةِ''. لماذا دعاكم الله صيارفةً؟ لكي يعلِّم الجميع أن يظهروا ذات القدر من الاهتمام الذي يبديه الصيارفة لفحص العملات، عند فحص الأقوال. فمثلما يرفض الصيارفة العُملة المزيَّفة والمزوَّرة، ويقبلون العُملة الصحيحة، ويميزون بين المزيَّف والأصلي، هكذا افعل أنت أيضاً، ولا تقبل أي قول، بل اطرد بعيداً المزوَّر والسيئ، وضع في ذهنك الجيد والذي يحتوي على الخلاص.

لأنك بالفعل لا تمتلك أقيسةً وأوزاناً غير مصنوعة من النحاس والحديد، بل تتكون من النقاوة والإيمان، وبهما تفحص كل قول. لذلك يقول: صيروا صيارفةً، تُجاراً، ليس لكي تحسبوا الأموال وتعدوها وأنتم جالسون في السوق، بل لكي تراقبوا الأقوال بكل دقة. لأجل هذا أيضًا يقول بولس الرسول: ''امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ'' (١ تي ٥: ٢١). غير أني لم أدعوكم صيارفةً فقط لكي تفحصوا

الأموال، بل لكي توزِّعوا الودائع أيضاً. لأن الصيارفة، إذا قبلوا فقط الأموال وأغلقوا عليها، دون أن يقرضوا الآخرين، فلن يتحقق أي مكسب من التجارة. كذلك الأمر، عندما تقبل التعليم، وتحفظه داخلك ولا تنقله للآخرين، فسوف تفقد كل مكسبك. لأجل هذا نرى أناساً يدخلون ويخرجون إلى تلك المصارف كل اليوم.

إذن، ليت ما يحدث بشأن الأموال، يحدث أيضًا في التعليم. لأننا نرى البعض يضعون أموالاً عند أولئك الصيارفة، وآخرون يأخذون مباشرةً ويخرجون، وهو ما يمكن للمرء أن يراه اليوم. لأجل هذا، وبالرغم من أن الأموال ليست خاصة بهم، فلأنهم يستخدمونها كما يجب، يجمعون لأنفسهم -بالأموال الغريبة- غنيً كثير. هكذا افعل أنت أيضًا.

ليست هذه هي أقوالك، بل هي للروح، لكن إذا استخدمتها بطريقةٍ حسنةٍ، فسوف تجمع لنفسك غنيً روحياً كبيراً. لأجل هذا دعاكم الله صيارفة.

لكن لماذا دعا القول مالاً؟ لأنه، كما أن عُملة المال منقوشٌ عليها صورة الملك، وإلا كانت عُملةً مزيفةً، بل وتُسمى أيضاً مزورةً، هكذا تعليمُ الإيمان أيضاً، يجب أن تكون له كل خصائص الكلمة. وكما أن استخدام الأموال ضروري في كل حياتنا؛ لأنها أساس لكل التعاقدات، سواء في الشراء أو في البيع، هكذا يكون التعليم أيضًا. لأن هذا المال الروحي هو أيضاً أساس وأصل التعاقدات الروحية. فإذا أردنا أن نشتري شيئًا من الله، فسوف نأخذ ما طلبناه، طالما دفعنا أولاً كلمة الصلاة. كذلك الأمر، إذا رأينا أخانا غير مبالٍ وينقاد إلى الهلاك، ف سوف نكسب خلاصه ونشتري حياته، إذا دفعنا كلمة التعليم.

ولأن فوائد هذه الأموال سوف تُطلب منا بالفعل؛ لذلك يجب أن نحرص، ونحفظ بدقة، كل ما قيل حتى نعطيه لآخرين. إذن دعونا ننتبه ونلاحظ ما نستلمه من أموال حتى يمكننا أن نوزعها أيضًا على الجميع. لأن كل واحد منا، إذا أراد، يمكن أن يكون له مقدرة على التعليم. لأنك قد لا تستطيع أن تُعيد إصلاح كنيسة كبيرة جدًا، لكنك تستطيع أن تنصح زوجتك. قد لا تستطيع أن تتحدث إلى جمع كبير جدًا، لكنك تستطيع أن تُعَقِّل وَلَدَكْ. قد لا تستطيع أن توجِّه كلمة التعليم

إلى شعبٍ كبير جدًا، لكنك تستطيع أن تفعل الأفضل مع خادمك. أن تجمع التلاميذ، أمرٌ لا يفوق قدراتكم، مسألة التعليم ليست أسمى من إدراككم، لأنكم تستطيعون أكثر مني وبسهولة، أن توجّهوا أولئك. لأني موجودٌ معكم مرةً واحدةً في الأسبوع، أو مرتين على الأكثر، لكنك أنت دائمًا موجودٌ في بيت التلاميذ والزوجة والأولاد والخَدَمْ، وفي المساء أيضًا على المائدة، وكل اليوم تستطيع أن تُصلحهم. وبالتالي تصير عملية التعليم والشفاء سهلة جدًا عن طريق أخر غيري. ولأنني أتحدث إلى جمع كبير، ولا أعرف المرض الذي يزعج نفوسكم، أجد نفسي مجبراً في كل مرة أن أقدم كل الأدوية. أما أنتم، فليس من الضروري أن تفعلوا نفس الأمر، بل يمكنكم بتعبٍ أقل، أن تقدموا تقويماً وإصلاحاً أكثر. لأنكم تعرفون جيدًا خطايا هؤلاء الذين يسكنون معكم، ولأجل هذا تستطيعون أن تنجزوا بسرعة فائقة عملية الشفاء.

سبب حِفظ الرسول بولس تمييز الأوقات والأماكن

٣- ليتنا نهتم إذن يا أحباء بهؤلاء الذين يسكنون معنا، لأن جزاءً كبيراً جدًا وعقاباً لا يُوصف حقًا، قد عُيِّن للذين لا يبالون بخاصتهم. يقول بولس الرسول: ''وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْتَنِي بِخَاصَّتِهِ، وَلاَ سِيَّمَا أَهْلُ بَيْتِهِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الإِيمَانَ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ'' (١ تيمو ٥:٨). هل رأيت أين يضرب بولس أولئك الذين لا يهتمون بأقاربهم؟

وهذا طبيعي جدًا، لأن الذي لا يبالي بأقربائه، كيف يمكنه أن يعتني بالغرباء؟ أعرف أنني نصحتكم بهذا مراراً كثيرة، لكني لن أتوقف أبدًا عن أن أنصحكم، بالرغم من أنني من الآن فصاعدًا أعتبر نفسي غير مسئول عن لامبالاة الآخرين. لأنه يقول: ''فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَضَعَ فِضَّتِي عِنْدَ الصَّيَارِفَةِ، فَعِنْدَ مَجِيئِي كُنْتُ آخُذُ الَّذِي لِي مَعَ رِبًا'' (مت ٢٥: ٢٧)، ولم يطلب شيئًا أكثر من ذلك. وها أنا قد وضعت الأموال عندكم، وأصبحت غير مسئول. لكن بالرغم من أنني لست مسئولاً وحراً من العقاب، إلا أنني، وكأنني مسئول عن الجزاء والعقاب، هكذا أخاف وأرتعب على خلاصكم.

إذن ليتكم لا تسمعون الأقوال الروحية بلا مبالاة. لأنني لم أقل بلا سبب وبلا هدف هذه المقدمة الكبيرة، بل لكي يكون حفظ الأقوال أكثر أمانًا، حتى لا تعودوا إلى بيوتكم بعدما صفقتم وهتفتم، خالين الوفاض وبلا هدف. لأنني لا أهتم بمدائحكم، بل أعتني بخلاصكم. لأن أولئك الذين يتعبون فوق المسرح يأخذون أُجرتهم بفضل ثناء الشعب عليهم، أما نحن، فلا نجاهد لأجل هذا، بل لكي نأخذ الأجر الذي حُدِّد بمعرفة الرب. لأجل هذا نكشف لكم باستمرار هذه الأمور؛ لكي تستقر الأقوال في عمق ذهنكم. لأنه إذا كانت النباتات لا تتزعزع أمام هجمات الرياح لأن جذورها ضربت في أعماق الأرض، هكذا أيضًا المفاهيم، فإنها لا تُنتزَع بسهولةٍ بسبب مكيدة الظروف، كلما استقرَّت في عمق الذهن.

أخبرني أيها المحبوب، هل يمكنك أن تتغافل عن ولدك إذا رأيته يتضور جوعاً؟ ألا تفعل كل ما في وسعك لكي تسد جوعه؟ فإن كنت لا تتحمل أن يهلك جوعاً، فكيف تطيق أن تتغافل عنه إن كان يهلك نتيجة غياب التعليم؟ هل تكون جديراً بالأبوة عندئذٍ؟ الحقيقة أن هذا الجوع هو أكثر رعباً من ذاك، لأن غياب التعليم ينتهي بالموت الأعظم، ولأجل هذا يجب أن نهتم به بالأكثر. يقول: ''وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ'' (أف ٦: ٤). هذا هو اهتمام الآباء الحسن، هذه هي حراسة الوالدين الأصيلة. لأنني هكذا أُدرك القرابة الطبيعية، عندما يُظهر الآباء اهتماماً أعظم في الروحيات.

أعتقد أن ما قلته يُعَدُّ مقدمةً كافية، لكن من الضروري أن أدفع أيضًا ما عليَّ من دين. ولكي تردوا ما أنتم مدينون به برضى، تحدثت إليكم كثيراً. إذن ما هو الدين الذي كان لكم عليَّ بعد انصرافي الأخير (يقصد بعد الاجتماع الأخير معهم)؟ ربما قد نسيتموه؟ حسنًا، لابُد أن أُذكِّركم أنا، ولكني أقرأ عليكم أولاً ما تعاقدنا عليه في سابقاً، ثم أقرأ عليكم ما انجزناه، وهكذا نرى ما تبقى. إذن، ما الذي سُدِّد في المحاضرات السابقة؟ لقد تكلمت عمَنْ هو كاتب سفر ''أعمال الرسل''، ومَنْ هو أبُ (كاتب) هذا الحديث، أو على الأفضل ليس أباً، بل خادماً، لأنه لم يَلِد (يصدر عنه) كل ما قيل بل خَدَم هذه الأقوال.

لقد تكلمت عن سفر ''أعمال الرسل''، وعما يخفيه هذا العنوان: ''أعمال الرسل'' وراءه. كما تكلمت أيضًا عن لقب «الرُسل». وأصبح من الضروري الآن أن نتكلم عن السبب الذي بمقتضاه حدد آباؤنا أن يُقرأ سفر الأعمال في فترة الخمسين. لأنكم ربما تذكرون أنني وَعَدتكم وقتذاك أن أكلمكم أيضًا عن هذا. لأن الآباء لم يرتبوا هذه الأوقات (يقصد القراءة في مواسم معينة) بطريقة عشوائية أو بمحض الصدفة، بل فعلوا هذا بسببٍ حكيم. ليس لأنهم يضعون حريتنا تحت سلطان الزمن، بل تنازلاً تجاه فقر الأخوة المرضى روحيًا، لكي يقودهم إلى غنى المعرفة. اسمع ما يقوله بولس: ''أَتَحْفَظُونَ أَيَّامًا وَشُهُورًا وَأَوْقَاتًا وَسِنِينَ؟'' (غلا ٤: ١٠).

فإذا كنا لا نحفظ أياماً أو عصوراً وأزمنةً، فما هو القول إذا رأينا مَنْ يمنعنا عن أن نميز الأيام والعصور والأزمنة، يعطي أهميةً لهذه الأمور؟ هل يناقض ذاته ويتصادم معها؟ ليكن مثل هذا التفكير بعيداً عن أذهاننا. لكن، ولأنه يريد أن يشفي ضعف أولئك الذين يميزون الأوقات، يتنازل تجاههم بمثل هذا التمييز. مثل هذا يفعله الأطباء، إذ يتذوقون مسبقاً الأطعمة التي تُعطى للمرضى، ليس لأنهم في حاجة للطعام، بل لأنهم يحاولون أن يُشفُوا أولئك من مرضهم، هكذا فعل بولس أيضاً. فبالرغم من أنه لم يكن في حاجة لتمييز الأوقات، حرص على ذلك لكي يحرر أولئك الذين يحرصون على مثل هذا التمييز من هذا المرض. وأين ميَّز بولس الأوقات؟ ركِّزوا معي جميعكم أرجوكم، يقول: ''ثُمَّ سَافَرْنَا مِنْ هُنَاكَ فِي الْبَحْرِ وَأَقْبَلْنَا فِي الْغَدِ إِلَى مُقَابِلِ خِيُوسَ. وَفِي الْيَوْمِ الآخَرِ وَصَلْنَا إِلَى سَامُوسَ، وَأَقَمْنَا فِي تَرُوجِيلِيُّونَ، ثُمَّ فِي الْيَوْمِ التَّالِي جِئْنَا إِلَى مِيلِيتُسَ، لأَنَّ بُولُسَ عَزَمَ أَنْ يَتَجَاوَزَ أَفَسُسَ فِي الْبَحْرِ لِئَلاَّ يَعْرِضَ لَهُ أَنْ يَصْرِفَ وَقْتًا فِي أَسِيَّا، لأَنَّهُ كَانَ يُسْرِعُ حَتَّى إِذَا أَمْكَنَهُ يَكُونُ فِي أُورُشَلِيمَ فِي يَوْمِ الْخَمْسِينَ'' (أع ٢٠: ١٥ – ١٦). أرأيت كيف أعطى ذاك الذي قال: ''لا تميزوا الأيام والشهور والدهور''، أعطى أهميةً مميَّزةً ليوم الخمسين؟

٤– وهو لم يميِّز اليوم فقط، بل المكان أيضًا. لأنه لم يسرع ليحتفل بيوم الخمسين فقط، بل ولكي يحتفل به أيضًا في أورشليم. لماذا فعلت هذا، أيها الطوباوي بولس؟ لقد أُبطلت أورشليم وخُرِّبَ قدس الأقداس بأمر من الله، لقد أُبطل أسلوب الحياة

السابقة. لقد صرخت لأهل غلاطية، قائلاً: ''قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَبَرَّرُونَ بِالنَّامُوسِ. سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ'' (غلا ٥ :٤)، فلماذا الآن تقودنا إلى عبودية الناموس؟ أيها الأحباء، ليس هيِّناً أن نعرف أن بولس عندما لم يميِّز فقط الأيام، بل حفظ أيضًا أموراً أخرى للناموس، إنما يتناقض مع نفسه؛ لأنه نادي لأهل غلاطية قائلاً: ''هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنِ اخْتَتَنْتُمْ لاَ يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئًا!'' (غلاطية٥ :٢).

حسنًا. بولس ذاته الذي يقول: ''إِنِ اخْتَتَنْتُمْ لاَ يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئًا!''، يختِّن هو بنفسه تيموثاؤس. لأن بولس عندما وَجَد في ليسترا شاباً كانت أمة يهودية، وقد آمن، وأبوه كان يونانيًا، ختَّنه، لأنه لم يرد أن يرسل معلماً غير مختون (أنظر أ ع ١٦: ١ – ٣). لماذا تفعل هذا، أيها الطوباوي بولس؟ هل تلغي الختان قولاً، بينما تؤكده فعلاً؟ إنه يقول إنني لا أُؤكده، بل ألغيه بالأعمال. لأن تيموثاؤس أتى من أُمٍّ يهوديةٍ، وقد آمن وأبوه كان يونانياً، من جنسٍ غير مختتن.

إذن، فلأن بولس كان يريد أن يرسل معلماً لليهود، لم يُرِد أن يرسل معلماً غير مختتن، لكي لا يغلق مباشرةً من البداية أبواب الكرازة. إذن، فبينما هو يجهِّز الأرض لإبطال الختان، ويفتح طريقاً لتعليم تيموثاؤس، ختَّنه؛ لكي يُبطل الختان. لأجل هذا يقول: ''فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ'' (١ كو ٩ :٢٠). فبولس لم يقل هذا لكي يصير يهودياً، بل لكي يقنع أولئك الذين بقوا يهوداً حتى لا يتصرفوا بعد كيهود. لأجل هذا ختَّن تيموثاؤس، لكي يُبطل الختان.

إذن، استخدم الختان ضد الختان. لأن تيموثاؤس نفسه قَبِلَ الختان حتى يصير مقبولاً من اليهود كواحدٍ منهم، وذلك لكي يبعدهم عن هذا التمييز. هل رأيت سبب حِفظ بولس يوم الخمسين والختان؟ هل تريدون أن أبرهن لكم أنه حَفِظَ وصايا أخرى للناموس؟ انتبهوا جيدًا. لقد صَعَد مرةً إلى أورشليم، وعندما شاهده الرُسل قالوا له: ''أَنْتَ تَرَى أَيُّهَا الأَخُ كَمْ يُوجَدُ رَبْوَةً مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا، وَهُمْ جَمِيعًا غَيُورُونَ لِلنَّامُوسِ. وَقَدْ أُخْبِرُوا عَنْكَ أَنَّكَ تُعَلِّمُ جَمِيعَ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَيْنَ الأُمَمِ

الارْتِدَادَ عَنْ مُوسَى، قَائِلاً أَنْ لاَ يَخْتِنُوا أَوْلاَدَهُمْ وَلاَ يَسْلُكُوا حَسَبَ الْعَوَائِدِ. فَإِذًا مَاذَا يَكُونُ؟ لاَ بُدَّ عَلَى كُلِّ حَال أَنْ يَجْتَمِعَ الْجُمْهُورُ، لأَنَّهُمْ سَيَسْمَعُونَ أَنَّكَ قَدْ جِئْتَ. فَافْعَلْ هذَا الَّذِي نَقُولُ لَكَ: عِنْدَنَا أَرْبَعَةُ رِجَال عَلَيْهِمْ نَذْرٌ. خُذْ هؤُلاَءِ وَتَطَهَّرْ مَعَهُمْ وَأَنْفِقْ عَلَيْهِمْ لِيَحْلِقُوا رُؤُوسَهُمْ، فَيَعْلَمَ الْجَمِيعُ أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا أُخْبِرُوا عَنْكَ، بَلْ تَسْلُكُ أَنْتَ أَيْضًا حَافِظًا لِلنَّامُوسِ" (أع ٢١: ٢٠ – ٢٤).

أرأيت هذا التنازل العجيب؟ يميِّز الأوقات، لكي يُبطل تمييز الأوقات. يُختِّن لكي يوقف الختان. يقدِّم ذبيحةً لكي يُبطل حفظ الذبائح. ولأجل هذا فَعَلَ هذه الأمور، اسمعه هو بنفسه يقول: "فَإِنِّي إِذْ كُنْتُ حُرًّا مِنَ الْجَمِيعِ، اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لأَرْبَحَ الأَكْثَرِينَ. فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ" (١ كو ٩: ١٩ – ٢٠).

وقد فَعَلَ بولس هذا متشبِّهاً بسيده. لأنه، مثلما هذا "الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ" (فيلبي ٢: ٦ – ٧)، هكذا هذا جعل ذاته عبداً للجميع، لكي يربح الجميع. لقد صار الربُّ عبدًا آخذًا طبيعتنا لكي يحرر العبيد "طأطأ السموات ونزل (على الأرض)" (مز ١٨: ٩). لم يقل «ترك السموات ونزل»، بل "طأطأ" لكي يجعل الصعود إلى السموات بالنسبة لك سهلاً جدًا. لقد تمَثَّل بولس به بقدر استطاعته، لذلك قال: "كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ" (١كو١١: ١).

وكيف صرت أنت أيها الطوباوي بولس، متمثلاً بيسوعك؟ بأنني لم أطلب أبدًا مصلحتي، بل مصلحة الكثيرين لكي يخلصوا (أنظر ١كو١٠: ٣٣) وبالرغم من أنني كُنت حرًا من الجميع، جعلت ذاتي عبدًا للجميع.

إذن، لا شيء أفضل من هذه العبودية؛ لأنها تصير سببًا لحرية آخرين. لقد كان بولس صياداً روحياً لأنه يقول: "«هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمَا صَيَّادَيِ النَّاسِ»" (مت ٤: ١٩)، لهذا صنعَ كل ما فعله. لأن الصيادين عندما يرون أن السمكة بلغت إلى الصنارة، لا يسحبونها مباشرةً، بل يرخون لها الصنارة، منتظرين فترةً، يتابعون الأمر

لكي تشبك جيدًا، وهكذا يسحبون السمكة بأمان.

هكذا فَعَلَ الرُسل أيضاً وقتذاك. تركوا سنارة التعليم تسقط في نفوس اليهود، وهؤلاء عبثًا قاوموا، وعبثًا استمروا يحفظون الختان، والأعياد، وتمييز الأوقات، والذبائح، وأن يحلقوا رؤوسهم، وأن يفعلوا مثل تلك الأمور. لكن الرسل، في كل مكان، تابعوهم ولم يستطع اليهود أن يقاوموهم.

هكذا، لو طَلَبتَ ختاناً، يقول، لن أعترض، بل سوف أخضع. وإذا طلبتَ ذبيحةً، فسوف أذبح. ولو أردتَ أن أحلق شعري، أنا الذي توقفتُ عن أسلوب حياتك، أنا حاضرٌ وسوف أُتمم الوصية، وإذا أمرتني أن أعطي أهميةً خاصةً ليوم الخمسين، فحتى في هذه الحالة لن أعترض، بل أينما ذهبتَ أتبعُكَ وسوف أنتظر حتى تشبك فيك صنارة الكلمة، هكذا -بأمانٍ- أفصل كلَّ جنسك عن العبادة القديمة، وأسلوب الحياة العتيقة.

أرأيت كيف تَبعَ بولس طريقة صيد الأسماك منتظراً بالكلمة؟ أرأيت كيف صار تمييز الأوقات، وتنازُل الختان، والمشاركة في الذبيحة، بالنسبة له، كان سبباً، لا لكي يُرجع هؤلاء إلى أسلوب الحياة القديمة بل لكي يعود أولئك الذين ظلوا أوفياء للأماكن، إلى الحق؟ لأن الذي اتخذ مكانه في الأعالي، إذا استمر دائمًا هناك، عندئذٍ يمتنع على من هو أسفل، أن يصعد عالياً، ولذلك وجبَ على مَن كان في الأعالي أن يتواضع أولاً حتى يمكنه أن يرفع ذاك. لذلك نزل الرسل من علو الحياة الإنجيلية، حتى يُصعِدوا اليهود من وضاعة الحياة اليهودية إلى ذاك العلو.

إقامة المسيح مع تلاميذه بعد قيامته من بين الأموات

٥- من الواضح إذن أن تمييز الأوقات، وكل الأمور الباقية، قد صارت لأجل فائدة ومصلحة اليهود. لكن دعونا نرى السبب الذي من أجله يُقرأ سفر "أعمال الرسل" في فترة الخمسين (الخماسين). فقد حرَّكنا كل هذه الأمور، حتى لا تعتقدوا أن الرُسل -عندما تروهم يحفظون تمييز الأوقات- كانوا يرضخون لأسلوب الحياة اليهودية. لذلك انتبهوا بدقة من فضلكم؛ لأن المسألة التي سوف نتناولها بالحديث

ليست بسيطةً. في يوم الصلب نقرأ كل ما يتعلق بالصلب. فأثناء السبت العظيم، سُلِّم ربنا وصُلِب ومات بحسب الجسد، وقُبر. إذا كان الأمر هكذا، فلماذا نقرأ أعمال الرسل بعد بدء الخماسين مباشرةً ولا ننتظر إلى أن تنتهي؟ أنا أدرك أن كثيرين لا يعرفون هذا الأمر. ولهذا من الضروري أن نؤكد من سفر "أعمال الرسل"، أن بداية أعمال الرسل ليست هي بداية فترة الخمسين "يقصد التي تبدأ بعد القيامة"، بل فترة ما بعد الخمسين (أي بعد حلول الروح القدس).

ولهذا من الصواب أن يريد أحدٌ أن يعلم لماذا حُدِّد أن نقرأ ما يتعلق بالصلب في يوم الصلب والآلام، بينما لا يُقرأ سفر أعمال الرسل في الفترة التي صارت فيها هذه الأعمال (أي بعد الخمسين، بعد حلول الروح القدس)، بل قبل وقت تحقيقها (أي أثناء فترة الخمسين)، خصوصاً وأن الرسل لم يجترحوا المعجزات بعد أن قام المسيح مباشرةً، لأنه أقام لمدة أربعين يوماً مع هؤلاء على الأرض. وسوف نتحدث عن سبب إقامته مع هؤلاء على الأرض أربعين يومًا في فرصة أخرى، لكن الآن دعونا نأتي إلى موضوعنا موضحين أن المسيح لم يصعد إلى السماء مباشرةً بعد قيامته، بل بقى أربعون يومًا على الأرض مع التلاميذ، وهو لم يبقَ لمجرد البقاء، بل أيضًا أقام وأكل وتحدث معهم، وبعد أربعون يومًا صعد إلى أبيه للسموات، ولم يفعل الرسل وقتذاك أية معجزات، بل مَرّت عشرة أيام أخر. وعندما اكتملت الخمسين يومًا، أرسل لهم الروح القدس، وقتذاك وحين أخذوا ألسنةً ناريةً، بدأوا يصنعون المعجزات.

أيها الأحباء، سوف نؤكِّد كل هذه الأمور من الكتب المقدسة، أقصد أنه أقام مع هؤلاء أربعين يومًا، وبعد الخمسين نزل الروح القدس، وقتذاك أخذوا ألسنة نارية، ومن وقتذاك بدأت المعجزات. إذن، مَنْ الذي قال كل هذا؟ تلميذ بولس، لوقا العظيم الذي قال: "اَلْكَلاَمُ الأَوَّلُ أَنْشَأْتُهُ يَا ثَاوُفِيلُسُ، عَنْ جَمِيعِ مَا ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَفْعَلُهُ وَيُعَلِّمُ بِهِ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي ارْتَفَعَ فِيهِ، بَعْدَ مَا أَوْصَى بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الرُّسُلَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ. اَلَّذِينَ أَرَاهُمْ أَيْضًا نَفْسَهُ حَيًّا بِبرَاهِينَ كَثِيرَةٍ، بَعْدَ مَا تَأَلَّمَ، وَهُوَ يَظْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَيَتَكَلَّمُ عَنِ الأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ. وَفِيمَا هُوَ مُجْتَمِعٌ مَعَهُمْ أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ، بَلْ يَنْتَظِرُوا «مَوْعِدَ الآبِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي"

(أع ١: ١ - ٤). أرأيت أنه بعد القيامة كان الرب معهم لمدة أربعين يومًا على الأرض متحدثًا عن ملكوت الله ومقيمًا مع الرسل؟ أرأيت أنه جلس أيضًا معهم على المائدة؟ ''وَفِيمَا هُوَ مُجْتَمِعٌ مَعَهُمْ أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ، بَلْ يَنْتَظِرُوا «مَوْعِدَ الآبِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي، لأَنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ، لَيْسَ بَعْدَ هذِهِ الأَيَّامِ بِكَثِيرٍ» (أع ١: ٤ - ٥). وقد قال المخلص هذه الأمور أثناء الأربعين يومًا: ''وَفِيمَا هُوَ مُجْتَمِعٌ مَعَهُمْ أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ، بَلْ يَنْتَظِرُوا «مَوْعِدَ الآبِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي، لأَنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ، لَيْسَ بَعْدَ هذِهِ الأَيَّامِ بِكَثِيرٍ». أَمَّا هُمُ الْمُجْتَمِعُونَ فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: «يَا رَبُّ، هَلْ فِي هذَا الْوَقْتِ تَرُدُّ الْمُلْكَ إِلَى إِسْرَائِيلَ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ، لكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ»، وَلَمَّا قَالَ هذَا ارْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ'' (أع ١: ٤ - ٩).

رأيت كيف أن المسيح أقام مع تلاميذه لمدة أربعين يومًا على الأرض، وكيف أنه بعد الأربعين يومًا صعد إلى السموات، لكن دعونا نرى ما إذا كان الروح القُدس قد أُرسل أثناء الخمسين: ''وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ، وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ'' (أع ٢: ١ - ٣). أرأيت كيف صار البرهان دقيقاً على أن المسيح كان معهم أربعين يومًا على الأرض، وأن الرسل لم يصنعوا معجزات؟ لأنه، كيف كان في استطاعتهم اجتراح المعجزات طالما أنه لم يكن لديهم بعد نعمة الروح المُحيي؟

أرأيت أنه بعد الأربعين يومًا صَعَدَ المسيح إلى السماء؟ أرأيت أيضًا أنه بعد عشرة أيام صنع الرسل المعجزات؟ لأنه للتو، حين أُكمِلت الخمسين، أرسل الروح القدس. حسنًا، هذا هو الموضوع، لأي سبب يُقرأ سفر أعمال الرُسل في الخمسين؟ لأنه، لو كان الرسل وقتذاك بدأوا يصنعون المعجزات، أي بعد قيامة الرب، لكان يجب أن

يُقرأ أيضًا هذا السفر لأنه، مثلما نقرأ ما يتعلق بالصليب في يوم الصلب وما يتعلق بالقيامة في يوم القيامة، والحوادث المتعلقة بكل عيد نقرأها في يوم العيد، هكذا كان يجب أن تُقرأ معجزات الرسل في أثناء أيام المعجزات الرسولية.

لماذا يُقرأ سفر «أعمال الرسل» في فترة الخمسين المقدسة؟

٦- إذن لماذا لا نقرأ ما يتعلق بالرُسل وقتذاك (يقصد بعد الخمسين)، بل مباشرةً بعد الصلب والقيامة؟ اسمعوا بدقة السبب كله. مباشرةً بعد الصلب نكرز بقيامة المسيح، لأن برهان القيامة هو معجزات الرُسل، والمكان الذي نتعرف منه على معجزات الرُسل هو سفر أعمال الرسل. إذن، فهذا السفر بالحري يؤكد قيامة الرب، وقد حدد الآباء أن يُقرأ مباشرةً بعد الصلب والقيامة حاملة الحياة. لذلك إذن أيها الأحباء، بعد الصلب والقيامة مباشرةً، نقرأ معجزات الرسل، لكي يكون لدينا برهانٌ واضحٌ وغيرُ مشكوك فيه على القيامة. لم تَرَه قائماً بأعين الجسد، بل تراه قائماً بأعين الإيمان. لم ترَه قائماً بهذه الأعين، بل سوف تراه قائماً بهذه المعجزات. لأن حدوث المعجزات يقود إلى معاينة الإيمان. وعلى ذلك، أن تكون هناك معجزاتٌ باسمه، برهانٌ أعظم وأوضح من أن يظهر القائم.

هل تريد أن تعلم كيف أن هذا يؤكد بالأكثر القيامة، عن أن يظهر أمام أعين كل البشر؟ اسمعوا بحرصٍ، لأن كثيرين يسألون هذا السؤال، قائلين: ''لماذا بعدما قام لم يظهر مباشرةٍ لليهود؟''. غير أن هذا الكلام لا لزوم له، ويفتقر إلى الهدف. لأنه، إذا أراد أن يجذب إلى الإيمان، كان عليه ألّا يتجنب أن يظهر بعد القيامة للجميع.

والدليل على أنه لا يريد أن يجذبهم بظهوره لهؤلاء بعد القيامة، هو قيامة لعازر. لأنه، بالرغم من أنه أقامه بعدما كان ميتاً منذ أربعة أيام، وقد بدأ جسده يتحلل، ويصدر عنه رائحةٌ كريهة، وجعله يخرج مقيدًا بأشرطةٍ ولفائف بيضاء أمام أعين الجميع، فإن ذلك ليس فقط لم يجذبهم إلى الإيمان، بل وأغضبهم أيضاً. لأنهم عندما أتوا، أرادوا أن يقتلوه لأجل هذا الأمر، هو ولعازر (أنظر يو ١٢: ١٠). إذن، طالما أقام آخراً، ولم يؤمنوا، فلو كان قد أظهر ذاته بعد قيامته، لكان قد استولى عليهم الجنون، وقاموا ضده أيضًا. وبالرغم من أنهم لا يريدون أن يكسبوا شيئًا، لكن

بهجومهم، كانوا يقصدون أن يعلنوا بفُجرٍ عدم إيمانهم به.

فلأنه أراد أن يحررهم من الجنون الزائد، أخفى ذاته. لأنه لو كان قد ظهر بعد الصلب، لكان ذلك قد جعلهم بالأكثر جدًا، مسئولين ويستحقون العقاب. ولأنه حَزَنَ عليهم، أخفى ذاته عن أعينهم، وإن كان قد أظهرها ببرهان المعجزات. فأن يروه قائماً، ليس أقل من أن يسمعوا بطرس يقول: "لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلاَ ذَهَبٌ، وَلكِنِ الَّذِي لِي فَإِيَّاهُ أُعْطِيكَ: بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ!" (أع ٣:٦). وهذا برهان أعظم للقيامة، وبسهولةٍ يقود إلى قبول القيامة عن الظهور المباشر للرب. فقد كان يمكنه بالأكثر أن يقنع أذهان البشر بمعجزات تصير باسمه، عن أن يرونه قائماً، وهذا يبدو من ظهور المسيح لتلاميذه، فبالرغم من ذلك، كان بينهم واحدٌ غير مؤمن، توما، الذي يُدعى التوأم، وقد طلب أن يضع يده على علامات المسامير، وطلب أيضاً أن يفحص جيدًا جنبه (انظر يو ٢٠: ٢٤ – ٢٥).

إذن، فإذا كان التلميذ الذي عاش معه ثلاث سنين، والذي أخذ مكاناً على مائدة الرب، الذي رأى آياتٍ وعجائبَ كثيرةً جدًا، الذي سمع أقوال الرب ورآه قائماً، لم يؤمن في البداية، إلى أن رأى علامات المسامير والجروح والطعنة، فكيف إذن تؤمن المسكونة، إذا رأته قائماً؟ مَنْ هو الذي يقول هذا؟ ليس فقط من هذا الموضع، لكن أيضًا من موضعٍ آخر، سوف نبرهن على أن المعجزات قد أقنعت أكثر مِن أن يرونه وجهًا لوجه قائماً. لأنه، عندما سَمِعَ الجمع بطرس يقول للمقعد: "باسم يسوع المسيح قم وامشِ»، آمن بالمسيح ثلاثةُ آلاف، وخمسةُ آلاف من الرجال، بينما عندما رآه التلميذ قائماً لم يؤمن! أرأيت كيف أنه قاد بسهولةٍ كبيرةٍ للإيمان بالقيامة؟ لأن تلميذه عندما رآه لم يؤمن به، بينما آمن الأعداء حينما رأوا معجزات الرُسل. كان هذا الأمر أكثر وضوحًا، وهو الذي جذبهم وأقنعهم بالقيامة.

ولماذا ذكرت توما؟ فقد كان هناك تلاميذ أخرون لم يؤمنوا بالظهور الأول. اسمع الآتي، لكن لا ندينهم لهذا الأمر، أيها الأحباء، لأن المسيح لم يدِنهم، ولا أنت أيضًا تدينهم. لأن التلاميذ قد رأوا حقًا أمراً غير معتاد وغريباً، أقصد أنه الأول الذي قام من بين الأموات. والمعجزات العظيمة جدًا تسبب عادةً للوهلة الأولى ذهولاً

واندهاشاً، ولكن بعد مرور الوقت، تصير معتادةً في نفوس المؤمنين. هذا هو بالضبط ما صار أيضًا للتلاميذ وقتذاك. لأنه، عندما قال المسيح لهم بعد قيامته من الأموات: ''وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسْطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «سَلاَمٌ لَكُمْ! فَجَزِعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا. فَقَالَ لَهُمْ: «مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ، وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟'' (لوقا ٢٤:٣٦ - ٣٨)، حينئذٍ أظهر لهم يديه ورجليه. ''وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ بَعْضُهُمَا مَعَ بَعْضٍ عَنْ جَمِيعِ هذِهِ الْحَوَادِثِ'' (لو ٢٤:١٤)، فلأنه كان يريد بهذه الأمور أن يؤكد لهماً القيامة، يقول: هل لم يقنعك الجنب المطعون، ولا المجروح؟ ليت المائدة -على الأقل- هي التي تقنعك.

معجزات الرسل هي برهان قاطع لقيامة المسيح؟

٧- ولكي تعلم هذا بدقة، قال لهم: «ألعل عندكم إدامًا'' (يو ٢١:٥)، ذلك لأنه أراد أن يأكل معهم حتى لا يظنوا أنه خيال أو روح، بل قيامة حقيقية. اسمع كيف يؤكد بطرسُ القيامة عن طريق هذا الأمر. لأنه قال: ''هذَا أَقَامَهُ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَعْطَى أَنْ يَصِيرَ ظَاهِرًا، لَيْسَ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ، بَلْ لِشُهُودٍ سَبَقَ اللهُ فَانْتَخَبَهُمْ. لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلْنَا وَشَرِبْنَا مَعَهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الأَمْوَاتِ'' (أع ١٠:٤٠ - ٤١). وفي موضع ثانٍ، عندما أقام ميتاً، لكي يؤكد المسيحُ القيامةَ، قال: ''أن تُعطى لتأكل'' (مر ٥:٤٣).

إذن، عندما تسمع أنه قدَّم ذاته حيَّاً لمدة أربعين يومًا ظاهرًا لهم ومقيمًا معهم، عندئذٍ تعلم سبب الأكل، وأنا أقصد أنه لم يأكل لأنه كان لديه احتياجٌ للطعام، لكن لأنه أراد أن يُصلح ضعف التلاميذ الروحي، وبالتالي، من الواضح أن علامات وعجائب الرسل، كانت هي البرهان الأعظم للقيامة. ولأن الصلب دخل في الوسط، وأعثر الكثيرين، كانوا يحتاجون لمعجزات عظيمة؛ لأجل هذا أيضًا قال هو ذاته: ''اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا، لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي'' (يو ١٤:١٢). ويمكننا أن نؤكد أن المسيح لو كان قد ظل في الموت وفي القبر ولم يقم، كما زعم اليهود، لَما كان قد صعد للسموات، ولم تكن معجزاتٌ أعظم قد صارت بعد ذلك، أي بعد الصلب.

وليس ذلك فقط، بل ولا كانوا قد تذكَّروا على الإطلاق كل ما صار في السابق. من فضلكم، انتبهوا بدقة هنا، لأن الأقوال هي برهان للقيامة غير القابلة للشك، لأجل هذا أيضًا سأقول نفس الأمور.

لقد صنعَ المسيح قبل هذا معجزاتٍ، أقام موتى، طَهَرَ برَّصاً، طَرَدَ شياطين، بعد ذلك صُلِب، وكما زعم اليهود المخالفين، لم يقم من الأموات. ماذا إذن يمكننا أن نقوله لهؤلاء؟ إن لم يكن قد قام، فكيف حدثت معجزات كبيرة باسمه؟ لأن أحداً من الأحياء، إذا مات، لا يمكنه أن يصنع معجزات أعظم بعد موته، في حين أن المعجزات التي حدثت هنا بعد موته (المسيح) كانت أعظم من جهة الطريقة، ومن جهة طبيعتنا. فمن جهة طبيعتنا كانت أعظم؛ لأن ظلال المسيح لم تقم موتى على الإطلاق، بينما صنعت ظلال الرسل، معجزات مثل هذه كثيرة. ومن جهة الطريقة، فقد حدثت معجزات أعظم؛ لأنه -في أثناء حياته- صنع هو ذاته المعجزات بالأمر، بينما بعد الصلب، استخدم عبيده اسمه القدوس، وصنعوا معجزات أعظم وأسمى، وكانت النتيجة أن لمعت قوته جدًا ببهاء أعظم. لأن الأعظم من أن يأمر هو ذاته، أن يصنع أحدٌ مثل هذ المعجزات مستخدمًا اسمه.

أرأيت أيها المحبوب، ان معجزات الرُسل بعد قيامة المسيح، هي الأعظم من جهة طبيعتنا ومن جهة الطريقة؟ بالتالي يكون برهان القيامة غير قابل للشك. إذن، ما سبق أن قلته، سوف أقوله كذلك: لو كان المسيح بعد أن مات، لم يقم، لكان يجب أن تتوقف أيضًا المعجزات، وأن تُمحي تمامًا. لكن الآن ليس فقط لم تُمحَ، بل صارت أكثر بهاءً وأكثر مجدًا. لأن المسيح لو لم يكن قد قام، لاستحال على الآخرين أن يصنعوا مثل هذه المعجزات باسمه. لأن القوة ذاتها كانت لها فاعليتها قبل الصلب وبعد الصلب. في الأول بالطبع بمفردها، لكن بعد ذلك بواسطة تلاميذه. ولكي يصير برهان القيامة أكثر وضوحًا ولمعانًا، صارت المعجزات أكثر عظمة وأسمى بعد الصلب. ومن أين يظهر أنه وقتذاك حدثت معجزات؟ سوف يقول غير المؤمن: ومن أين يظهر أنه صُلِب؟ يقول من الكتب المقدسة.

حقًا، من الكتب المقدسة نعرف أنه وقتذاك حدثت معجزات، وأن المسيحَ قد

صُلِب. لأن تلك الكُتب تقول هذه وتلك. لكن الخِصم لو قال إن الرُسل لم يصنعوا معجزات، يكون قد أظهر بدرجة كبيرة قوتهم والنعمة الإلهية، لأنهم بدون معجزات (طبقاً لقوله) جذبوا لله المسكونة كلها، والجوعى والمهمشون والأُميون والبسطاء والمغمورون. فالاثنا عشر في العدد جذبوا -بدون معجزات- لأنفسهم مدناً كثيرة وأمماً وشعوباً وملوكاً وطُغاةً وفلاسفةً وخُطباءَ، وبشكلٍ عام، كل الأرض. لكن هل تريد أن ترى أن المعجزات تحدث أيضًا الآن؟ أنا سوف أُظهر لك أيضًا ما هو أعظم من المعجزات السابقة: ليس ميتاً يُقام، ولا أعمى يرى، بل كل الأرض قد ابتعدت عن ظلام الضلال. ليس أبرصاً قد تطهَّر، بل أممٌ كثيرة جدًا قد محَت برص الخطية، وبحميم الميلاد الثاني قد تطهرت. لماذا تطلب الأعظم من هذه المعجزات، أيها الإنسان، طالما ترى أن تحولاً أعظم جدًا قد صار في المسكونة؟

قيامة المسيح أحدثت تغييراً في سلوك الرسل

٨- هل تريد أن تعلم كيف جعل المسيحُ المسكونةَ تعيد النظر؟ قبل أن يعرف البشر حقيقة الخشب والحجارة، لم يعتبروهما مجردَ خشبٍ وحجر، بل كانوا يدعون الجوامد آلهةً. لقد كانوا عميان، لكن الآن عرفوا ما هو الخشب وما هو الحجر، آمنوا بمَنْ هو الله. لأن هذه الطبيعة غير المائتة والطوباوية، فقط تُرى بالإيمان. سوف ترى هذا الأمر من موقف التلاميذ الذي صار أعظماً بعد القيامة. لأنه إذا كان الجميع قد توافقوا على أن من كان له موقف إيجابي من إنسان حيٍّ، قد لا يتذكره -بالرغم من ذلك- عندما يموت، فما بالك بمن تصرف بنكران وجحود تجاه الحي، لا شك أنه سوف ينساه عندما يموت، خصوصاً عندما يتعرض هو ذاته لمخاطر لا حصر لها بسبب الاهتمام به.

هذا الذي لم يحدث لأي أحد، صار للمسيح والرسل، فأولئك الذين أنكروه عندما كان حيًا، وتركوه، وحين قُبض عليه تركوه وابتعدوا عنه، فبعد تلك الإهانات التي لا تُحصى والصلب، أظهروا له ولاءً وإخلاصًا لا نظير له، لدرجة أنهم سلَّموا نفوسهم من أجل الاعتراف والإيمان به. وأيضًا، لو لم يكن المسيح قد قام، فكيف يُبرَّر أولئك الذين هربوا وقت أن كان حيًا بسبب خطر وشيك، أن تُفرَض عليهم

لأجله، أخطارٌ لا حصر لها بعدما مات؟ حسنًا، لقد هرب الجميع وآخرون، بينما بطرس أنكره بقسمٍ ثلاثَ مرات، وهذا الذي أنكره بقسمٍ ثلاثَ مرات، وخاف من مجرد خادمة، يريد أن يقنعنا عندما مات المسيح، بأنه رآه قائمًا. فجأةً يتغير لدرجة أنه تجرَّأ أمام كل الشعب وصَرَخَ في وسط اليهود وقال إن ذاك الذي صُلبَ وقُبِرَ، قام في اليوم الثالث من الأموات، وصعد إلى السموات، دون أن يخاف من أي شر (أنظر أع ٢:١٤ - ٣٦).

من أين أخذ بطرس هذه الجَرأة؟ من أين إلَّا من تأكيده على القيامة؟ إذن، فلأنه رأي المسيح وتحدث معه، وسمع عن الأمور المستقبلية، لأجل هذا، نجده بعد ذلك وكأنه يخاطر لأجل أحياء، هكذا احتقر كثيرًا جدًا كل المتاعب، طالما أخذ قوة أكثر، وجرأة أعظم، لدرجة أن يموت من أجله، ويُسمَّر على الصليب منكس الرأس. إذن، عندما رأى أن المعجزات تصير أعظم، والتلاميذ الذين هجروه سابقًا، يُظهِرون محبةً أعظم له، ويُظهِرون جراةً أعظم، ومن كل جانب صار تحوَّل الأمور أكثر لمعانًا، والكل بجرأةٍ أعظم وبثباتٍ، عَلَّمَ -بمعرفة الأمور ذاتها- أن المسيح لم يُمسَك من الموت، بل أعقب الموتَ القيامةُ، وأنه يحيا ويظل دائمًا الله غير المتغير الذي صُلِب. لأنه، إن لم يقم، وإن لم يكن حيًّا، لَما استطاع التلاميذ أن يصنعوا معجزاتٍ أعظم فيما بعد من تلك التي صارت قبل الصلب.

إذن، وقتذاك تركه تلاميذه أيضاً، لكن الآن تُسرع له أيضًا كل المسكونة، وليس فقط بطرس، بل وآخرون لا حصر لهم، وبالأكثر جدًا بعد بطرس، مِن أولئك الذين لم يروه، سلَّموا أنفسهم لأجل المسيح، وقُطعت رؤوسهم، وتألموا وعانوا من شرور لا حصر لها لدرجة أنهم ماتوا باعترافهم المستقيم والسليم به. كيف أيها اليهودي، هذا الذي كان ميتاً وبقىَ في القبر، كما تقول أنت، أظهر قوةً وقدرةً عظيمةً جدًا للجميع بعد أولئك، مقنعًا هؤلاء فقط أن يسجدوا له، وأن يفضِّلوا أن يتحملوا ويتألموا دائمًا لكي لا يفقدوا إيمانهم به؟ أرأيت بوضوح برهان القيامة الكُلي، بالمعجزات وقتذاك، ومعجزات الآن، بمحبة تلاميذه وقتذاك وتلاميذهم الآن، بالأخطار التي مَرَ بها أولئك الذين آمنوا بالمسيح؟

هل تريد أن ترى أيضًا أعداءه يخافون من قدرته وقوته ويجاهدون بالأكثر جدًا بعد الصلب؟ اسمع أيضًا عن هذه الأمور بانتباهٍ: ''فَلَمَّا رَأَوْا مُجَاهَرَةَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا، وَوَجَدُوا أَنَّهُمَا إِنْسَانَانِ عَدِيمَا الْعِلْمِ وَعَامِّيَّانِ، تَعَجَّبُوا. فَعَرَفُوهُمَا أَنَّهُمَا كَانَا مَعَ يَسُوعَ. وَلكِنْ إِذْ نَظَرُوا الإِنْسَانَ الَّذِي شُفِيَ وَاقِفًا مَعَهُمَا، لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَيْءٌ يُنَاقِضُونَ بِهِ'' (أع ٤: ١٣ - ١٤). ولكن قبل هذا كانوا يعترضون عندما رأوا حدوث معجزات. إذن كيف وقتذاك لم يُبدوا أيَّ اعتراض؟ أعاقت قوة المصلوب لسانهم، لقد سد أفواههم، أصاب جرأتهم. لأجل هذا أيضًا وقعوا دون أن يقدموا أيَّ اعتراض. لكن عندما تحدثوا، انتبه، كيف اعترفوا بجُبنهم (بخوفهم) يقول: ''أَمَا أَوْصَيْنَاكُمْ وَصِيَّةً أَنْ لاَ تُعَلِّمُوا بِهذَا الاسْمِ؟ وَهَا أَنْتُمْ قَدْ مَلأْتُمْ أُورُشَلِيمَ بِتَعْلِيمِكُمْ، وَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْلِبُوا عَلَيْنَا دَمَ هذَا الإِنْسَانِ» (أع ٥:٢٨).

وأيضًا، لو كان هو (المسيح) إنساناً عادياً، فلماذا تخاف من دمه؟ كم من الأنبياء قتلتَ، كم من أبرارٍ ذبحتَ، أيها اليهودي، ولم تَخَف دمَ أحدٍ من هؤلاء؟ لأي سبب تخاف هنا؟ لقد أرعب المصلوب حقًا ضميركم. لم يستطيعوا أن يخفوا حيرتهم، إذ بدون إرادتهم اعترفوا أمام الأعداء بضعفهم. عندما صلبوه صرخوا قائلين: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا» (مت ٢٧: ٢٥)، لقد احتقروا بشدةٍ دمَه. لكن عندما رأوا بعد الصلب قوته تلمع، خافوا وانزعجوا ثم قالوا: ''تريدون أن تلقوا علينا ذنباً لأجل دم هذا الإنسان؟''. لكن لو كان مضللاً وفاجراً، كما تزعمون أيها اليهود المخالفون، فلأي سبب تخافون من دمه؟ لأنه كان عليك أن تفتخر لأجل القتل، إن كان مثل هذا مضلاً وفاجراً، لكن، لأنه لم يكن هكذا، ارتعبتم منه.

محبة الله للبشر

٩- أرأيت من كل الوجوه، أعداءه وهم يرتعبون ويخافون؟ أرأيت صراعهم النفسي؟ تعرَّف أيضًا على محبة المصلوب. لأن أولئك قالوا: ''دمه علينا وعلى أولادنا''، لكن المسيح لم يفعل هذا، بل توسل إلى الآب، قائلاً: «يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ». (لو ٢٣:٣٤). لأنه، لو سقط ذنب دمه فوق هؤلاء وفوق أولادهم، لَما أتى من أولادهم الرُسل، ولا كان ثلاثة آلاف من

البشر، ولا خمسة آلاف يؤمنون (أنظر أع ٢: ٤١ - ٤٤). أرأيت كيف أن أولئك، بسبب أنهم كانوا قساة القلوب على أولادهم، جَهِلُوا أيضًا الطبيعة ذاتها (الأبوة)، بينما صار الله أكثر محبة من كل الآباء، وأكثر عطفًا من الأمهات؟ لقد سقط إذن ذنب دمه فوق هؤلاء وفوق أولادهم، لكن ليس فوق كل الأولاد، بل على أولئك فقط الذين قلَّدوا وتمثلوا بفُجر ومخالفة آبائهم، كما سقط فوق الذين كان أولادهم ليسوا وفق الطبيعة في تصرفهم، بل وفق جنون تصرف آبائهم، هؤلاء فقط صاروا مسئولين عن الشرور.

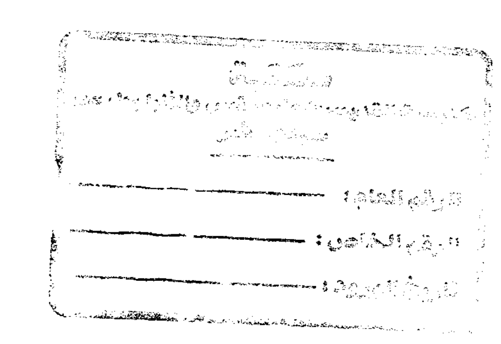
لكن انتبه، أرجوك، ولاحظ صلاح ومحبة الله؛ لأنه لم يضع على هؤلاء مباشرةً الجزاء والعقاب، بل ترك أكثر من أربعين سنة بعد الصلب تمر؛ لأن المخلص ذاته صُلِب في زمن تيباريوس، لكن مدينتهم سقطت في أزمنة فيسباسيانوس وتيطس. إذن، فلماذا ترك كل هذا الزمن يمر بعد الصلب؟ لأنه أراد أن يعطيهم وقتاً للتوبة، لكي يتخلصوا من الخطايا، ويرفضون الجرائم، لكن لأنهم ظلّوا على مرضهم بلا شفاء، بالرغم من أنهم أخذوا مهلةً للتوبة، أوقع بعد ذلك على هؤلاء، الجزاء والعقاب، وبعدما دمَّر المدينةَ، شتَّتهم في كل أجزاء المسكونة، جاعلاً هذا الأمر بسبب محبته للبشر.

لقد شتَّتهم، لكي يروا أن المسيح الذي صلبوه هم أنفسهم يُعبد في كل أجزاء المسكونة، فيدركون حجم فجورهم، عندما يرون أنه يُعبد من الجميع، ويعلموا قوته، وحين يدركون فجورهم، يرجعون إلى الحق. وهكذا صار أسرهم درساً وتحذيراً عقابياً. لأنهم لو ظلوا في اليهودية، لما عرفوا حق الأنبياء. ماذا قال إذن الأنبياء؟ "اسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ، وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكًا لَكَ" (مز ٢: ٨). إذن، كان يجب أن يُنفوا في أقاصي الأرض، لكي يروا بعيونهم أن المسيح يسود أيضًا على أقاصي الأرض. كذلك نبيٌ أخر يقول: "ولتكن قوتنا هي شريعة العدل، فإنه من الثابت أن الضعف لا يغني شيئا" (سفر الحكمة ٢: ١١). إذن، كان يجب أن يتشتَّتوا في كل مكان في الأرض لكي يروا بعيونهم أن كل واحد في مكانه يسجد له.

أيضًا نبيٌ أخر قال: "لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَجْدِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ

الْبَحْرَ" (حبقوق ٢:١٤). إذن، كان يجب أن يصلوا إلى كل الأرض لكي يروها مملوءةً بمعرفة الرب، ويروا البحار، أي بحار الكنيسة الروحية، مملوءةً بالتقوى. لأجل هذا شتَّتهم الله في كل أجزاء الأرض. لأنهم لو ظلوا في اليهودية لِما كانوا قد عرفوا هذه الأمور. بالتالي يريد أن يعرفوا بأعينهم حق الأنبياء وقوة الله، لكي ينقادوا تجاه الحق، بالطبع، لو كان لديهم التوجه الصالح، لكن لو بقوا في الفُجر، لِما كان لديهم أي مبرر في يوم الدينونة الرهيب.

لأجل هذا شتَّتهم في كل أجزاء المسكونة، لكي نكسب نحن أيضًا شيئاً منه، أي ونحن نرى تلك النبوات التي قيلت عن تشتت اليهود، وانحلال أورشليم التي قالها أيضًا دانيال وهو يتحدث، قائلاً: "وَيُثَبِّتُ عَهْدًا مَعَ كَثِيرِينَ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ، وَفِي وَسَطِ الأُسْبُوعِ يُبَطِّلُ الذَّبِيحَةَ وَالتَّقْدِمَةَ، وَعَلَى جَنَاحِ الأَرْجَاسِ مُخَرَّبٌ حَتَّى يَتِمَّ وَيُصَبَّ الْمَقْضِيُّ عَلَى الْمُخَرِّبِ" (دا ٩:٢٧)، وملاخي قائلاً: "مَنْ فِيكُمْ يُغْلِقُ الْبَابَ، بَلْ لاَ تُوقِدُونَ عَلَى مَذْبَحِي مَجَّانًا؟ لَيْسَتْ لِي مَسَرَّةٌ بِكُمْ، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، وَلاَ أَقْبَلُ تَقْدِمَةً مِنْ يَدِكُمْ" (ملا ١: ١٠)، وداود وأشعياء وكثيرون آخرون من الأنبياء الذين تنبأوا عن هذا الأمر، وهم يشاهدون هؤلاء الذين صاروا جاحدين الله، يُعاقبوا هكذا، ويفقدون حريتهم في وطنهم وكل عاداتم وتقاليدهم الآبائية، لكي يعرفوا قوة الله التي سبق وقالت وحققت هذه الأمور، وأعداءه من خلال الصلاح الذي نحن فيه، يرون قوته، وأيضًا نحن نعرف من خلال عقوبات أولئك، محبته وقوته التي لا تُوصف، ونمجده دائمًا لكي نحصل على الخيرات الأبدية بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح مع الآب والروح القدس المُحي له الكرامة والقوة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. آمين.



[تمثَّل بحياة الرُسل المستقيمة، ولن يكون لديك شيءٌ أقل من الرُسل. لأن المعجزات لم تصنع الرُسل، بل الحياة الطاهرة. وهذه هي صفة الأيقونة الرسولية، وهوية التلاميذ. اسمع المسيح الذي أعلن هذه الخاصية، أقصد، وهو يصف أيقونة الرُسل مُظهرًا ما هي خاصية العمل الرسولي، قال الآتي: "بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ" (يو ١٣:٣٥). "بهذا"، ماذا؟ بأن تفعلوا معجزات؟ بأن تقيموا موتى؟ كلا، لكن بماذا؟ "بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ". لكن المحبة ليست نتيجة المعجزات، بل نتيجة الحياة المستقيمة. لأنه يقول: "اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَصْنَعُ شَرًّا لِلْقَرِيبِ، فَالْمَحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ" (رومية ١٣:١٠). أرأيت خاصية التلاميذ؟ أرأيت أيقونة العمل الرسولي؟ أرأيت الهيئة والشكل؟ أرأيت المكان؟ لا تطلب شيئًا أكثر. لأن الرب أوضح أن المحبة هي الصفة الشخصية للتلاميذ. إذن، إن كان لديك محبة، لَصِرتَ رسولاً، والأول بين الرُسل].

القديس يوحنا ذهبي الفم

العظة الثانية، فقرة ٣